

إنه الداعية المسلم ...  
وجد نفسه محصوراً بين جدران ...  
واكتشف سلباً يلقه ...  
فانتفض ... ولم يؤمن بمفتاح بطنى ...  
بل كسر القفل القديم ... ورماه ...  
ثم خطا خطوات العزم والتصميم ...  
فكأنت نقلته قويه ... لمعت ببريق الاراده ...  
حتى انها كسرت العتبه ...  
وخرج الى سعة وضياء وأفق رحيب ...  
معه العلم والكتاب ...  
ويدير دولاب الحضاره ...  
ومضى يحدوه منهجه الالهى ...  
يؤكد ذاته المتميزه ... ويصنع الحياه

## ❁ المقدمة ❁

تفرض المواقع المتقدمة الجديدة التى انتقلت إليها الدعوة الإسلامية العالمية وحازتها بفضل الله تعالى وقفة تأملية على أبنائها، يتدارسون خلالها أساليب تطوير العمل، وتجويد التخطيط، ومضاعفة الآثار الحسنة لبذلهم، والاحتفال بالمنحة الربانية الكريمة التى حباهم بها جزاء صبرهم فى المحن وثبات ألسنتهم وأقدامهم فى مقابلة الفتن.

وشرط نجاح هذه الوقفة الفاحصة إنما يكمن فى استعداد نفسى لى الدعاة للخروج من المألوف الموروث من الأساليب إذا أرشدت التجارب إلى ضرورة ذلك، وأدى النظر العقلى إلى اكتشاف خطأ.

وما يزال الدعاة بخير ما أذعنوا للمنطق ودفعهم الاجتهاد الحر إلى السير فى دروب الإبداع والتنوع، وهم فى جانب الأمان والركن القوى بإذن الله ما استجابوا لمتطلبات الظروف وكانوا على مرونة تحقق التكيف مع المستجدات والاعتناق من تقديس التخطيط القديم.

و (نظرية صناعة الحياة) دعوة لمراجعة الرصيد، والجرى مع الفهم الجديد الذى بدأنا نفهم به العلاقات الحيوية وعوامل التأثير فيها وكيفية تقلبها فى مجاريها ومسارها، وهى استثمار لحقائق علمية تعلمناها من بعد جهل، واستعمال لمفاد أسرار اكتشافها عبر انفتاح اجتماعى عالمى طرأ على سلوكنا من بعد عزلة حجبتنا، كما أنها نتائج لمقدمات غرستها الطريقة المنهجية التى ارتضيها والتي أحيينا بها سمناً توصل له كبار علماء السلف من أمتنا وقادة السياسة فيها لم نكن نحيط بمعناه يوم كان نهلنا من مدوناتهم وسيرهم هامشياً، ثم انبغى لنا مع التعمق وطول اللبث مع كلامهم والتأمل فى أفعالهم، وازداد وضوحاً باقتباس من المنهجية العملية

التي توجه التطور المدنى العالمى الحالى.

ولذلك، فالمظنون أن هذه النظرية البسيطة ستؤدى إلى تجديد فى التخطيط الدعوى، وإلى إعادة توزيع الواجبات وتقاسم الأدوار، وإلى أساليب مستحدثة، وتفنن وابتكار، فى محاولة لاختصار بقية الوقت، وتقليل الجهد، مع الدخول إلى ساحات التأثير من المداخل الطبيعية الفطرية البريئة من التكلف والتحمل، بحيث لا يشعر الناس -إذ نقودهم- أننا نعاملهم من موطن فوقى أو عبر حق ندعيه ونحتكره دونهم، وإنما ندعهم يحسون أننا نحمل همومهم، ونتكلم بلغاتهم، ونتجانس مع عواطفهم، وندلى بالرأى لا بلهجة الأمر، وإنما بهيئة الناصح المشير الخبير، الذى ارتاد لقومه فأطلعه الريادة على ما لا يعلمون.

على أننا سنلمس أن الإقتراحات التى سنتهى إليها لا تنافى ما عليه عمل الدعوة الإسلامية اليوم، وإنما هى إضافة وتكميل ووضع خيارات جديدة فى الاستخدام، والأصل باق على ما هو عليه.

### فوق التيار .. وفى أعلى الذرى

وتسميتنا لهذه النظرية بصناعة الحياة تعنى أننا ننظر إلى إدارة الحياة على أنها (صنعة) لها فنونها الخاصة، وتجودها الخبرة المكتسبة إذا تراكمت، كمن يشتغل حداداً فتجب عليه الإحاطة بخصائص الحديد، أو نجاراً فتلزمه معرفة أنواع الخشب.

فكذلك نحن، نريد تسيير الحياة كلها فى تيار واحد، بما فيها من بشر وعلاقات وأموال وعلوم وفنون، لنجعل هذا التيار يصب الوادى الإسلامى، فوجب علينا معرفة خصائص البشر الفطرية وأسرار علاقاتهم. ولأننا نمارس (صنعة) فإن المهارة فيها تكون واجبة.

نحن فى تصرف وتغيير للموجود، والحداد قد يطرق قطعة الحديد فيولمها، من أجل أن يضيف إلى حوزة الحياة آلة منتجة، والنجار قد ينحت الخشب ويهدر منه الكثير من أجل الجمال، وكذلك الداعية مهندس الحياة.

لكنه صراع وتنافس، كمثل ما فى أى سوق: أيهم أسبق إلى الشارى، إذ الكافر يفعل ما يوازى فعلنا، وينطلق أيضاً من نظرية هادفة وتخطيط، ويضع هندسة مغايرة. وحين تكون الخطة الإسلامية واسعة شاملة فإن التأثير يتعدى توجيه الجيل الواحد، أو استثمار حفنة أموال، ليكون تأثيراً (حضارياً) يمتد إلى أجيال، ويضرب فى عمق الزمن ورحابه المكان، ولذلك تحتاج نتاجه هذه إلى مقدمات تناسبها تمتد ربما إلى عشرات السنين. وكذلك الخطة الكفرية أيضاً قد تؤدى إلى حضارة معاكسة تستولى، ويكون الكافر قد صبر على التقديم لها دهرأ طويلاً.

### قد نستطيع إيجاز الأمر بسؤال صيغته: كيف نمسك بزمام الحياة؟

ولعل من أبرز معانى جوابه التى ستتكفل هذه النظرية بالبرهنة عليها: أن الأمر يكون أبعد من مجرد وصولنا إلى الحكم وتحقيق تفوق سياسى جزئى، وإنما الامساك بزمام الحياة يستدعى نزولاً إلى الساحة بأفق حضارى شامل، فيه إصلاح للأدب، وبناء للأقتصاد، وحياسة للمال، وسيطرة على العلوم، ونفاذ إلى مراكز القوة فى كل قطر على مدى عالمى.

فى الحياة طاقات كثيرة ومجاميع بشرية هائلة، وجعل هؤلاء البشر يؤدون واجب العبادة لله تعالى إنما يكون حين يعرف دعاة الإسلام كيف يكون علوهم على تيار الحياة ليمسكوا بزمامه، ومن ثم توظيفه لأداء هذه العبادة، وليس هو السير فى خضم التيار، بحيث تتقاذفنا أمواجه وينعدم اختيارنا، كما أنه ليس السير فى معاكسة التيار الهادر، بحيث يجرفنا بزخمه، وإنما هو الجرى معه أو بموازته بمستوى التفوق والعلو والاستواء.

وعلى الداعية المسلم أن يفهم هذه الطبيعة ذات البعد الحضارى لعمله وخطة دعوته، ليتهيأ لها بما يوازىها، نفساً: بالصبر، وأداءً: بالعلم، واستعانة: بالمال، ورمزاً: بأطيايف الجمال .

ويؤكد هذا أننا نقبل اليوم على حقبة حياتية تمثل بدء الجولة الجديد للحضارة الإسلامية بعد قرون التخلف، ولقد كانت بلغت الأوج أولاً، ثم انحسرت تحت ضغط عوامل كثيرة، بيد أن هذه العوامل مهما تعددت لدى أهل التحليل والاستقراء فإن عامل النخر الداخلى

يبقى أهمها وأظهرها تأثيراً، وهو درس يعظ صناع الحياة في جولتهم الجديدة بوجود المبالغة في الوحدة ونبذ الفتن وأسباب الخلاف، وترتقى هذه الموعظة حتى تكون شرطاً لازماً لنجاح نظريتهم الحضارية في صناعة الحياة .

لم يكن هولاء بطلاً في ساحة الحرب نقلته بطولته إلى التفوق بمقدار ما كان سباقاً إلى الاستفادة من عوامل الفوضى السياسية والترديات الأخلاقية أواخر الزمن العباسي وكذلك في الجانب المعاكس أيام فتح القسطنطينية : أعان الجدل البيزنطي الفارغ وقلق البلاط الحاكم جيوش محمد الفاتح على الاقتحام.

ومن أصدق ما قاله مالك بن نبي : إن قبل قصة كل استعمار هناك قصة شعب خفيف يقبل الاستخذاء، وهو مثل ضربه رحمه الله يفسر ظواهر حيوية ودعوية كثيرة، وكما تبدأ تراجع كل حضارة بالنخر لتخلى مكانها إلى حضارة منافسة، فإن الفتن هي المقدمة التي تجعل كل دعوى تغزى في عقر دارها. وعندنا أن هذا إن لم يكن بميزان الرياضيات ابتداء فإنه يكون بميزان العقوبة الربانية، فيكل الله تعالى الدعاة إلى أنفسهم، فيعود منطق الرياضيات انتهاءً، ليس ثمة عون رباني ينصر القليل على الكثير، بل الواحد لا يساوي إلا واحداً ، وتضبط الصراع الاحصاءات ومعادلات الحساب، ليس ثمة جهد تضاعفه البركة، ولا خطوة يطوى لها الزمن .

### الولاء ناموس الكون

وأول مكونات نظرية صناعة الحياة إنما تشير لها ظاهرة الوحدة والتناسق والتماثل في سلوكيات المخلوقات وعلاقتها، وهذه الظاهرة الحيوية تتجلى في صور كثيرة، بعضها مكشوف لكل ذي عينين يراه واضحاً في سلوك النبات والحيوان، وبعضها لا ينكشف إلا لذي علم أو ذى آلة ومختبر. ويليق للداعية هنا أن يصبر قليلاً على جولتنا معه في الرحاب العلمية، ليقرأ في سطور التخليق أحرف التخطيط .

ومن أبرز ما تظهره هذه السلوكيات المتماثلة : ظاهرة متفرعة منها يمكنني أن أسميها : (ظاهرة الولاء)، أو : التبعية ، أو : الانتساب، أو : التلازم، أو ما قارب هذه الألفاظ . وخلصتهات : دوران بعض الخلق في فلك خلق آخر مصطفى وأقوى منه، بحيث يكون هذا الأقوى مركزاً للدوران، ومحوراً، أو بؤرة تتجمع حولها مخلوقات أخرى، ويكون مؤهلاً لأسر الأضعف وربطه به ومنعه من التفات والاختيار .

من ذلك ما عليه بناء الكون الواسع، وبناء الذرة ندرسهما كمثليين غير متناهيين في الكبير والصغر، وعلى طرفين متباعدين في ظن الظان، بينما يجمعهما نسق واحد في الحقيقة. وإذا رأينا صدق القانون الرابط لأجزائهما ووحدته : سهل علينا من بعد تصور ما بينهما من خلق كثير لا يحصيه إلا خالقه سبحانه، يرتبط على المثال نفسه، ومن هذا الخلق : البشر .

أما الكون : فقد رأيت مدير مرصد كاليفورنيا يتحدث في برنامج تلفزيوني علمي يشرح ما اكتشفه هو وأصحابه من علماء الفلك من كيفية بناء الكون، وذكر أن صورة النجوم المتناثرة إنما هو مقدار ما تراه العين المجردة أو التلسكوبات الصغيرة، وأما المرصد الضخمة فقد أظهرت في الثلاثينيات من هذا القرن أن الكون يتألف من لبنات مبنية بعضها فوق بعض وتحتة وعن يمين ويسار ووراء وأمام، بتكرر لا ينتهي في الجهات الست، وأن اللبنة الواحدة تتكون من نجمة ضخمة قوية تكون بؤرة أو مركزاً تتجمع حولها نجوم كثيرة أضعف منها على شكل مجرة، وأطلقوا على هذه المجموعة اسم ( العنقود النجمي )، وتقل كثافة النجوم المتجمعة كلما بعدت عن المركز، حتى يكون نوع فراغ، ثم تتلوه عناقيد أخرى مماثلة من جميع الجهات .

قال : وفي أواسط الثمانينيات حين تضاعف قوة الرصد : التقطنا ألفين وستمانه صورة للسماء من جميع الزوايا، فظهر لنا أن كل مجموعة من العناقيد النجمية تتجمع بدورها حول عنقود منها يكون أقوى من الأخريات ويعتبر مركزاً لها، ويكتف توزع العناقيد قرب هذا العنقود القوى، وتقل كثافة التوزع بالابتعاد .

قال : وسمينا ذلك (المجموعة العنقودية)، وما زال ظننا أن هذه المجاميع العنقودية هي لبنات بناء السماء، وأن الصور قد أظهرت توزعها في جهات الكون على وتيرة واحدة، في نسيج متمائل، في هندسة متناظرة، وما هي بمتناثرة، وما زال الله تعالى يخلق العناقيد في قياس موزون، وما زال الكون يتمدد، ويزيد الله في الخلق ما يشاء.

### ✿ عناصر عديدة .... والولاء واحد

أما الذرة في الطرف القصى المقابل فإنها مخلوقة على المثل نفسه، وقد بدأت المايكروسكوبات الالكترونية القوية في أواخر الثمانينيات تراها من بعد ما كنا نفهم مكوناتها من أثارها، وقد وضح بما لا يقبل الشك منذ أمد أنها تتكون من نواة قوية ذات شحنة موجبة، وأبسط أنواع الخلق هو غاز الهيدروجين الذي تكون نواته من بروتون واحد ، فيأسر له جسيماً سالباً يسمى الإلكترون يدور حوله مرتباً به. فإذا صار في النواة بروتونان اثنان فإن ذلك يعني أننا أمام عنصر آخر هو الهيليوم، وأسرت نواته الكترونيين مواليين يدوران في فلك تلك النواة. وهكذا خلق الله جميع العناصر من غازات وفلزات ومعادن، كلما ازدادت النواة بروتوناً: نتج عنصر جديد يختلف في خواصه، ودارت الكترونيات حول النواة مساوية لعدد البروتونات، ويسمى ما في نواة ذرة كل عنصر من عدد هذه المخلوقات: (العدد الذرى)، وقد ميز علماء الفيزياء العدد الذرى لكل العناصر، ورتبوه في ترتيبه التصاعدي وفق جدول سموه : (الجدول الدورى للعناصر)، فالكربون مثلاً عدده الذرى (6)، والأوكسجين (8)، والألمونيوم (13)، والكالسيوم (20)، والحديد (26)، والنحاس (29)، والزنك (30)، والفضة (47) ، واليود (53) ، والذهب (79)، والزنابق (80)، حتى أنهم وضعوا كمية من الزنابق في الفرن الذرى، ودفقوها بأشعة ذرية تستطيع إخراج بروتون واحد من نواة ذرة الزنابق، فكانت ذرات الزنابق تتحول تبعاً إلى ذهب، حتى تم تحويلها كلها وصارت كتلة ذهب أصلها زنابق، وهي معروضة اليوم في أحد المتاحف الأمريكية كبرهان على صدق النظرية الذرية، وهذه المعلومات يعرفها طلاب الأقسام العلمية في المدارس الثانوية، وفيها تفصيل كثير، بل أصبح العلم بها شائعاً من خلال برامج التليفزيون والصحف.

### ✿ السلوكيات البشرية تماثل السلوك الذرى

إن صورتى الذرة واللبننة الكونية تفصحان بوضوح أن (الولاء ) حقيقة حيوية راسخة، ولذلك يمكن إسقاطها على العلاقات البشرية وانتظار تبعية بعض البشر لبعضهم الآخر الذين هم أنوية ومحاور، وهذا ما يظهره التاريخ الإنسانى جلياً وتؤكدته الحقبة الحالية التى نعيشها، ولذلك يؤذن لدعاة الإسلام أن يطلبوا لأنفسهم المكان المحورى ليحوزوا ولاء الآخرين. هذا الاستنتاج يهمننا فى تفهيم نظرية صناعة الحياة، لذلك أرى أن تمسك به أيدينا لنقرنه بمعان أخرى سنستنتجها من بعد .

ولكن إذ نحن نمشى لاكتشاف هذه المعانى الأخرى يحسن أن نتوقف عند معان فرعية كامنة فى ظاهرة الولاء بين المخلوقات : **(المعنى الأول) : أن الولاء يتكرر، فالقوى الأسر لغيره يستأسر بدوره لآخر أقوى منه، وهذا واضح فى أن العنقود النجمى قد انتمى مع أصحاب له إلى عنقود متميز متفوق صار بؤرة للعناقيد، وهذا هو أصل ظاهرة (القيادة) فى الحياة البشرية، وأن الحانزين لولاء الناس يحتاجون آخر ينسق بينهم ويمنع التناطح والنظام .**

**(المعنى الثانى) : أن ازدياد بروتونات النواة الذرية تجلب الكترونيات زائدة بعدها، كما قلنا، ولكن ما لم نقله: أن هذه الالكترونيات لها مستويات وطبقات محدودة تدور فيها، ولذلك تكون قلقة جداً إذا صار عددها أكثر من تسعين ، فتخرج بأدنى سبب، ونتفقت، وكذلك الأمر فى الحياة البشرية، إذا ازداد الموالمون فى عمليات التجميع الواسع: أصبح التفتت أكثر حدوثاً، إذ لا يستطيع العنصر الذى جمعهم حوله أن يمنحهم مدارات خطية كثيرة تشبع رغباتهم وتطلعاتهم، فيسيطر نوع من القلق على العلاقة، ويكون الخروج، وربما ولد ذلك إحباطاً لدى العنصر المحورى تقل به كفاءته، إذ فى الذرة يخرج بروتون من النواة فى حالات القلق متزامن مع خروج الإلكترون ربما، وهذا أمر يعظنا أن يكون تجميعنا موزوناً. ولنا أن ننظر إلى هذه الظاهرة من زاوية أخرى فنقول : إن العنصر المحورى إذا ازدادت قوته العلمية وملكاته وزاد اتباعه فى المرحلة الأولى فإنهم يتحلقون حوله ما دامت لذة الارتباط غامرة، ثم قد لا يواكبونه فى اجتهاده المتقدم وفكره الثاقب ولا يفهمونه، فيكون التفتت، وهو أمر يعظ بوجود أن نسير بسيرة النمط الأوسط، وأن فرى العباقرة قد يحصل للمسلم، ولكن لا يستطيع تسويق عبقريته والعتور على متفهم لها.**

**(المعنى الثالث) :** إن عدد الالكترونات المأسورة يتناسب مع قوة النواة وعدد البروتونات فيها، وكذلك صانع الحياة يتبعه عدد من الناس يتناسب مع مقدار علمه وقوة ملكاته، كلما زاد ذخيرة: زاد أتباعه.

**(المعنى الرابع) :** إن الذرة من عنصر تتحد مع ذرة من عنصر آخر فتتكون جزئية ذات خواص جديدة، وهذه المركبات كثيرة جداً، وعليها مدار الانتفاع في الأغذية والأدوية، حتى أن الكيمياء العضوية لتوجد سلاسل من المركبات مستحدثة بإضافة ذرة هايدروجين أو كربون إلى التركيبة الأصلية، وتتجدد الخواص مع كل ذرة مضافة أقول: فهذه الظاهرة هي أصل ظاهرة الحلف في الحياة البشرية والحيوانية، حين يكون التحالف مع الشبيه والقرين والقريب، وعلى التخطيط الدعوى أن يستفيد من هذه النزعة .

### ✿ على الولاء والطاعة جميعاً

وفي أنواع المخلوقات التي تحتل الفجوة الواسعة بين الكون القصي والذرة الدقيقة شواهد فوق الحصر على ظاهرة الولاء والتبعية هذه.

فشمسنا منها، وربطت بها أرضنا والمريخ وزحل وبقية الكواكب السيارة، وهناك ملايين الشمس ذوات التوابع، ثم للأرض قمر تابع ولبعض الكواكب أقمار عديدة .  
وأسراب الطيور في هجرتها تتبع قائداً .  
والحياة النظامية في خلايا النحل والنمل مشهورة، وتكتشف الرقابة العلمية لها كل يوم جديداً مدهشاً من أحوالها وتقاسمها لأدوارها .  
وقد ضربنا لك أمثلة، فاتح منحي هذا في فهم أسرار الخلق .

### ✿ دقة في التعامل ..... وسرعة في الأداء

إن ظاهرة (الولاء) الحياتية مردفة ومقترنة بظاهرة أخرى ثانية يمكن أن نطلق عليها: ظاهرة (الحركة). وأراها كامنة في (القدر) الرباني. فهذه الحياة ليست ساكنة، وإنما هي سائرة وليس سيرها هذا بالعشوائى التصادفى، وإنما هي متحركة بحركة هادفة. وهذا القدر لا يحكم مفصل الحياة الكبرى فقط، وإنما هو مترجم بشكل (رقابة ربانية) دائمة على كل حركة وسكنة في الحياة على عدد الثوائى، إذ ما تسقط من ورقة من شجرة إلا هو يعلمها، ولا يصفق طائر بجناحيه إلا بإذنه، وقد عبر السلف عن دقيق علمه تعالى وراقبته فوصفوه بأنه: يعلم دبيب النملة السوداء، فى الليلة الظلماء، على الصخرة الصماء.  
 ويفترض فى كل مسلم أن يؤمن بذلك، ولكن هناك فرق بين إيمان راسخ تؤيده شواهد عيانة يمر بها المسلم المنتبه لما يدور حوله، الرابط للأحداث بهذه الرقابة الربانية، وبين إيمان عام لا يسنده تفكر .

**بعبارة أخرى:** الإيمان حى، يؤثر بإذن الله، وهو باق، وفى يوميات الحياة شواهد كثيرة وقصص تدل على أن الله تعالى يدبر كل حركة من المعنويات كما دبر كل ذرة وجرم من الماديات، وحركة الحياة مراقبة زوثة، وكل حركة مقدرة تقديراً ولا تسير بفوضى. والتماس دلائل هذا التوحيد وهذا النوع من الإيمان يكون بأقرب من البراهين المنطقية والطرائق الفلسفية، بل تنطق بها أحوال العبد فى لساعات التى تلى فعله للحسنة أو السيئة، كما كان بعض السلف بقول : إنى لأعرف طاعتى من معصيتى من خلق دابتي. أى يأتيه الثواب أو العقاب معجلاً فى الساعة نفسها، غير ما يأتيه من ذلك فى بقية حياته أو فى الآخرة .  
فلسنا ملائكة معصومين، ولا شياطين أغلقت قلوبنا، وإنما لنا نفوس مزدوجة : ((ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها))، ولنا إيمان يزيد وينقص فى مداورة دائمة .

فلو أسلف مسلم حسنة فى المساء، من صدقة، أو صلاة بوقتها، أو أمر بمعروف، أو إغاثة لهفان، أو تفهيم علم، أو بذل شفاعة، أو ستر عرض، أو تخذيل عن عشر، أو خلافة غاز مجاهد، فماذا يحدث له فى الصباح؟

يستيقظ فإن زوجه مبتسمة فى وجهه، وإذا أولاده يستيقظون مع أول نداء، على أتم نظافة، وكل قد كتب واجبه المدرسى وجمع كتبه. فإذا أفرط : كان طعامه لذيقاً، وتودعه زوجه بابتسامة أيضاً حتى إذا ركب سيارته -وهى دوابنا اليوم- وجدها سلسلة تشتغل مع

أول إدارة للمفتاح، ووجد الإشارات الضوئية خضراء فتفتح له الطريق مرحبة به، والسائق الذى أمامه يسير وفق الأصول بأدب وهدهوء، حتى شرطى المرور يرفع له يده بالتحية. فإذا دخل مكتبه الوظيفي: وجده نظيفاً، وجاءه من المراجعين أهل الرفق والأخلاق. فإذا رجع: لم يجد أذ من طعامه، وهكذا سائر يومه!.

ثم لو أسلف سينة في ليلة أخرى: من غيبة، أو بخل، أو تقاعس عن نجدة، أو تأخير صلاة، أو تنابز بالألقاب، أو منع خير، أو أذى جار، أو انتصار بالباطل لزوجة في تعاملها مع زوج صاحبه، فمماذا يحدث له؟

يستيقظ فإذا زوجه ذات عبوس وتأفف، ولا يدرى سبباً منه مباشراً في إغصابها، ثم من بعد قليل إذا بها تولول، ولربما فتش عن الفرد الضائع من حذاء ابنه نصف ساعة، حتى يتأخر عن دوامه المدرسي، ويكون طعامه مالحاً لا يكاد يسيغه، وتعذبه سيارته نصف ساعة أخرى كي تشتغل، وتكون كالدابة الشموس، ويجد الإشارات الضوئية حمراء في وجهه، وبيتلى بسائق طائش عن يمينه، ثم يوقفه شرطى مرور كان قد تشاجر مع زوجه هو الآخر فيفرغ همومه فيه ويحير له مخالفة هو منها برئ، وقد بيتلى ثالثة في مكتبه بمراجع فوضوى ملحاح يعكر عليه ويشكوه لدى الرئيس، ولربما يجد في الآخر طعام غدائه دخاناً محضاً وتكون زوجه قد نسيت القدر على النار حتى احترق، ويظل سائر يومه قلقاً كئيباً، حتى أن أقل عقوبته أن توظفه رنة الهاتف وهو في عز نوم القيلولة، فيزعجه.

وكلنا يمر بمثل هذه الأحوال، ولكن الأقل هم الذين يرجعون بذاكرتهم إلى ما أسلفوا من حسنات أو سيئات تكون سبباً لهذه الأحوال، والموفق هو الذى يسرع إلى بديته هذا المعنى فيعلم موطن قدمه، فيزداد خيراً وصعوداً، أو يحذر المنزلق، ويجد فى هذه المعاكسات الخفيفة اللطيفة تحذيراً يمنعه من الاسترسال فى الغى وركوب الشهوات. بل هى إشارات تحذير ربانية توازى اللمم والصغائر تنبهه إلى وجوب فطم النفس عن هواها، وإلا عوقب بأكبر من ذلك، من تضيق رزق، وضياح تجارة، وجلاء بركة، ومرض متعب، وتسلط ظالم، وطلاق، وقذف عرض، وفشل فى امتحان، وسفاهة جار، وبما هو أكبر من ذلك ربما . ولهذا، فإن هذه المعاكسات هى من تمام اللطف الربانى بمؤمن يفهمها ويستوجب موعظتها، من أجل أن لا يتمادى، بل قيل: هى مداعبة من الله للعبد، يذكره أنه معه وتحت رقابته، ليستقيم.

ويشهد لهذه المعانى حديث أبى هريرة رضى الله عنه فى صحيح البخارى عن النبى صلى الله عليه وسلم (يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد، يضرب كل عقدة: عليك ليل طويل فأرقد. فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عقدة، فأصبح نشيطاً طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان). (.)

### ✿ النهاية يحتكرها المؤمن والمصلح والمظلوم

ومن تام هذا الفهم لهذه الأمثلة الشخصية البسيطة فى الحياة ليومية أن نفهم ما هو أكبر منها مما يجرى على وتيرتها فى حياة الأمم وأجيال المسلمين، فإن الموازين الإيمانية لا تقتصر صحتها على المعنى الوجدانى فيها، وهو ما يسبق إلى ذهن المستعجل فى فهم الإيمان، وإنما تتعداه إلى معنى التأثير الفعلى فى الحياة فمن الموازين مثلاً: أن الكاذب لا يد أن يفتضح. وعلينا كمؤمنين أن ننظر ساعة يفتضح فيها من يكذب ولا بد، ننتظرها كما ننتظر أى حدث مادى، كشروق شمس أو نزول مطر إذا أغلقت السماء. ومن الموازين: ((إن الله لا يصلح عمل المفسدين)) وقريب منه ميزان ((وأن الله لا يهدى كيد الخانين))، وإن الخطيئة الأولى تجلب ثانية، والثانية تجلب ثالثة، عقوبة من الله، حتى يغلق القلب على ظلمة، وبمعكس هذه الموازين: التوفيق الذى يحيط المهتدى والصادق وفق ميزان: ((والذين اهدتوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم)) وأمثاله.

وكل هذه الموازين نتداولها وكأننا ننتظر الآخرة ليحقيق المكر السىء بأهله ويثاب المؤمن، وهذا جزاء من الحق، وجزؤه الآخر هو الاعتقاد بأن الحياة البشرية الدنيا محكومة بهذه الموازين جزماً، ولكن لا يرى بعضهم آثارها لأنها لا تظهر دائماً بسرعة، بل قد تمتد لفترة زمنية لتظهر، فينسى الرابط بين الفعل والعقوبة أو الثواب. فكما أن النظرة الفلكية الأولى لم تفصح عن وجود لبنات بناء الكون حتى توسعت الرقعة المدروسة وتضاعفت مساحة العين التلسكوبية اليباصرة، فكذلك نحتاج امتداداً زمنياً ومكانياً لتكون المادة المختبرية لبرهان صدق الموازين الإيمانية كافية، وبدلاً أن ندرس آثارها على مدى سنوات: ندرسها على مدى أجيال أحياناً، مع اعتقادنا بأ، العقوبة قد تاتى فى اللحظة نفسها أحياناً، مثل منات قصص يرويها النقات على مدى الأجيال عن شاهد زور حلف بالقرآن أمام القضاء كاذباً، فعمى فوراً، أو مغتاب يغتاب فيكوى لسانه بلقمة حارة فوراً، وأشباه ذلك. فدراسة آثار موازين الإيمان

على فترة ممتدة وأجيال ترينا بوضوح نتائج مشخصة مرئية يؤول فيها أمر أهل الباطل إلى تراجع وأمر أهل الحق إلى تمكين، وفي القرآن الكريم شواهد، وفي كتب التاريخ، وفي مرويات المعمرين. ولمحمود شيت خطاب. وهو مسلم وأفر الصدق- كتاب عنوانه : (عدالة السماء) يروى فيه بعض قصص مدارها على هذه الموازين، حتى أن قاتلاً قتل قتيلاً ورماه فى حفرة، وبعد دهر طويل أراد رجل ثالث قتل القاتل، فهرب منه، وظل يركض ساعة ينتقل من مخبأ إلى مخبأ، ثم لم يجد فى النهاية ما يواريه إلا الحفرة التى رمى فيها ضحيته القديمة، فجاء الآخر فقتله فيها!! وحدثنى ثقة قال : إن جندياً تركياً انخزل عن وحدته يوم انسحاب الجيش العثمانى من بغداد أمام ضغط الجيش البريطانى، ووقف هذا الجندى بباب جامع أبى حنيفة، فجاء شقى سلبه ثم قتله بظلم فى وقفته بالباب، وبعد عشرين سنة تشاجر الشقى مع آخر قطعن، فهام على وجهه من حرارة الطعنة لا يدرى ما يفعل، وظل يهرول بلا وعى منات الأمتار، حتى وصل باب الجامع فخر ميتاً فى الموضع نفسه الذى قتل فيه التركي البرئ. ولو أننا فتحنا مثل هذا الموضوع فى مجلس المعمرين فى الحضرة أو البدو، وفى بلاد العرب أو الهند أو الصين، لأقسموا لنا على صدق عشرات من مثل هذه القصص رأوها بأنفسهم رأى العين.

ومن أعجب الأمور أن العقوبة قد لا تظهر فى الفاعل وإنما فى ولده، لحكمة ربانية، فقد حدثنى أحمد جمال الحريرى رحمه الله، المطوف بمكة، قال : يا بنى: كلنا قد استهجن سحل جثة الأمير عبد الإله صبيحة ثورة 14 تموز ببغداد، ولكن هل تظن أن ذلك جاء من غير مقدمة؟ قال : لقد رأيت أباه علياً صبيحة التاسع من شعبان بمكة يوم أعلنت الثورة العربية التى قادها لورنس يصعد إلى قلعة مكة التى ما زالت شاخصة حتى الآن، فأعطى الحامية العثمانية أماناً إذا سلمت بغير قتال، فسلموا ونزلوا بذاك الأمان وكرهوا القتال بمكة، فأطلق سراح الجنود، وكانوا أربعمئة، ووضع الحبال فى أرجل ستة عشر ضابطاً وسحلهم أتباعه وهم أحياء، والغوغاء تركض وراءهم، فماتوا بعد بضع منات أمتار، واستمروا يسحلونهم حتى بلغوا البطحاء التى بين مكة ومنى، وما أظن الذى حدث لعبد الإله إلا عقوبة مثلية لتلك السيئة !! وبقابل هذا : هل رأيت أحداً سار على سنن العدل ثم ساءت أموره؟ لم تر ذلك فى فرد أو حكومة.

وانظر الظالم : سوء الذكر يلحقه حتى بعد مماته، وأولاد المرابى أول لاعنيه .  
وكم من رهط مؤمن عجز عن دفع ظلم يقع عليه، فينجيه الله ويبطش بالظالم، تصديقاً لميزان: (( إن الله يدافع عن الذين آمنوا)).  
وهلاك الأمم حين يشيع المنكر وتنتشر المعاصى يشاهده المرء فى المدن الخربة، ومدينة بومبى الفاسقة بجنوب إيطاليا محفوظة من يوم أهلكها بركان فيزوف قبل ألفى سنة، وقد تجولت بها ورأيت دنان الخمر وصور النساء العرايا كأنها رسمت أمس ! .  
وهل ما حدث بالكويت من هزة اقتصادية بسبب سوق المناخ بعيد عن معنى عقوبة بلدة شاع بين أهلها الربا ورضى معظمهم بيع الغرر التحالى الذى كان بالمناخ؟  
إن معيشتنا فى أجواء الاعلام الرأسمالى المادى والتربية العلمانية بدأت تنسينا هذه المعانى الإيمانية الأساسية مع الأسف، وهى من الحق الذى لا مرأى فيه وإن أنكرها الذين لا يفهمون .

### ✿ ويرزق من يشاء قرآن تخبره خبر الغد

نرجع إلى الظواهر التى ننتقل منها لفهم نظرية صناعة الحياة من بعد كلامنا حول ظاهرتى الولاء والحركة فنقول: إن ظاهرة ثالثة تقترن بالثانية على وجه الخصوص يمكن أن نسميها : ظاهرة (السيطرة المستقبلية)، وخلصتها : أن الله تعالى - وهو مالك الملك والغيب والزمان - قد أذن لبعض خلقه أن يعلم بعض العلامات والقرائن الدالة على ما سيحدث فى المستقبل، من غير جزم، إذ لا يعلم الغيب إلا الله تعالى، ولكن بنوع ترجيح يقذف طمأنينة فى قلب المؤمن، فيتصرف تصرفاً هادفاً متناسباً مع ما يتوقعه من الأحداث، فيسيطر بذلك لا على يومه فقط من خلال إسلاف الحسنات التى تجلب له التيسير والتوفيق، وإنما على المستقبل أيضاً على مدى موسم أو سنة أو دهر طويل، من خلال وضع هدف له والسير نحوه بتخطيط، بإذن الله، مصارعاً القدر بالقدر، بشبه علم يسبق الأحداث يتنبأ به نبوءة صحيحة من غير جزم بها، تادباً مع الله تعالى عالم الغيب .  
وسبل تعليم الله تعالى لعباده علم المستقبل هذا عديدة ، بعضها يردف بعضاً ويكمله ويشرحه .

**منها : الرؤيا الصالحة،** التى يراها المؤمن فتأتى كفلق الصبح، وهى جزء من ست وأربعين من أجزاء النبوة، كما فى الحديث

الصحيح، وإذا اقتربت الساعة ما تكاد رؤيا المؤمن تخطئ، وتصديق ولو بعد دهر، كصدق رؤيا يوسف عليه السلام، رآها وهو طفل، وصدقت بعد سنوات من اكتمال رجولته، وأبوه خلال ذلك يجزم بنجاة يوسف ويقول لبنيه: واعلم من الله ما لا تعلمون.

وأهل الرؤيا الصالحة لهم علامات يعرفون بها صدقها، وليست هي كل رؤيا يرونها، كما أخبرني بعضهم. وتروى في أوساط المؤمنين في كل جيل آلاف القصص العجيبة الغريبة من صدق الرؤيا، وللمؤمن أن يركن إلى بعض ما يراه، وللمؤمنين ولأمرانهم أن يركنوا إلى رؤيا أخ لهم معروف بصدق الرؤيا إذا أخبرهم بأنه رأى علامة صدقها وإن لم يذكر لهم كنه العلامة التي غالباً ما يفضل أن تكون سرّاً، فيفعلون أمراً متناسباً مع مفاد الرؤيا، أو يمتنعون عن فعل نوره، مما هو داخل في نطاق التخطيط والمواقف والقرارات. وبعض الدعاة يستهجنون مثل هذا الكلام ويظنون أن ذلك يناقض ما يعلمه المؤمن من مفاد الواقع المرئي ويخالف نظريات الإدارة والسياسة والتخطيط، وأن ذلك محض دروشة منحرفة عن الصواب. وذلك من قلة الإيمان والعياذ بالله، ومن التأثر بالمفاهيم المادية الشائعة، ومن تنزيل كلامنا غير منزلته التي نريدها. فنحن نقرب بأن على المؤمن أن يفهم الواقع الذي حوله، وأن يقتبس من نظريات الإدارة والتخطيط ما شاء مما لا يناقض أحكام الإسلام وآداب الإيمان، ولكن عليه أن يضع في حسابه أيضاً مفاد الرؤيا الصالحة التي يراها أهلها. ولسنا نقول بأن يعطل المؤمن حواسه وعلومه بانتظار الرؤى، ولكن إن كانت فإن عليه أن يسترشد بها ولا يعطلها، وبخاصة إذا تواترت، وما يقال عن عدم وقوع بعض الرؤى هو من تسرع من تلقف خبرها ولم يستوثق من صدق مدعيها، وأنا أؤمن بنظريات التخطيط، ولكني أشعر بأن لي قلباً يشهد قبل العقل الذي يقبس.

وقبل عشرين سنة انتظر بعض الدعاة موت حاكم ظالم في يوم اثنين من شهر رجب، لرؤيا أخبرهم بها ثقة من الدعاة قبل سنوات من تلك السنة، فمر الاثنين الأول والثاني والثالث من ذاك الـرجب ولم يمـت، ولما صار مغرب الاثنين الرابع وبدأت ليلة الثلاثاء: ينسوا، فذهبوا إلى داره صاحبين منكبين عليه وهمه وتدليسه، فأجابهم بإجابة الواثق أنه قد مات وأن الإجراءات الأمنية في دولته قد تستدعي تأجيل بث الخبر، فزادوا نفوراً وازداد ثقة بقوله، ثم دعاهم إلى الانتظار معه والإنصات إلى الأذاعات، وما هي إلا سويغات وإذا بخبر الموت يذاع، وهذه القصة متواترة عن عدد كبير من الثقات لا يقبل الشك أبداً، وكنت أسمع منه أن موته قريب، ولكن لم أسمع يوم الاثنين وذكر رجب، وصاحبها حتى وشهودها أحياء، وما فيهم غير ثقة.

ومن سبيل تعليم الله لعباده أمر المستقبل: الفراسة، وهي قابلية في المؤمن يستطيع أن يرى من خلال قسما ت وجه المقابل ما يكون من نور إيماني فيه أو ظلمة الهوى والفسوق، فيعلم بذلك صدقه من كذبه، وطاعته أو فجوره، ونيته في الخيانة أو الوفاء، فيعلم دخائل النفس من علامات الظاهر.

وليس المقصود أن من تكون شفته على هيئة كذا فهو كذا، أو يكون حاجبه كذا فهو كذا، كما يتوهم بعض الماديين، وإنما هي رؤية عامة، والحديث عنها يطول وليس هذا محله، ولكن يهمنا هنا أن الفراسة كما تكون تجاه شخص تكون تجاه شعب أو جيل منه، فصاحب النظر الإيماني قد تترجح عنده الصفة الغالبة على ذلك الجيل، من شجاعة أو جبن، وهمة أو تقاعس، واستعداد للبذل أو لا بألية، فيوصي المتفرس بموقف دعوى يناسب ذلك.

**ومنها: الإلهام الرباني للعبد المؤمن،** إذ يجد في نفسه دافعاً لفعل شيء أو الامتناع عنه، وقلبه في غاية الاطمئنان إلى ما عزم عليه. أو يقوم في نفسه في اليقظة لا في المنام أن أمراً سيقع في المستقبل، من أمر الخير أو الشر، فيسعى إليه أو يتوقاه. والملهم يعرف خاطر الرحماني الذي يوجهه، ويميزه عن خواطر الشيطان والرجم بالغيب والوسوسة، ولا توجد علامة نتحراها، ولكن علينا أن نتقصد استشارة من نحسبهم من أفاضل المؤمنين في عصرهم أو في الجماعة، فعسى أن تكون آراؤهم فيها نصيب من الإلهام، وبخاصة إذا أصر أحدهم على رأيه أو توطأ عدد منهم على معنى واحد.

**ومنها: حديث النفس،** وهي النفس التي طالبت استقامتها واعتادت الطاعة: يهجم عليها معنى لا تدرى مصدره يميل بها إلى فعل أو ترك، فيهتف بالمؤمن هاتف أن فلاناً يستجد به، فيذهب، فيجده كذلك. أو يهتف به أن يتحول عن مكان، فيتحول، فيقع سوء في ذلك المكان ينجو منه، وما شاكل ذلك. وهناك ألوف القصص في هذا الباب أيضاً.

**ومنها: الفأل الحسن،** وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبه، وهو حدوث علامة طيبة مصاحبة لنية عمل شيء، أو مقارنة للبده والشروع فيه، فيستبشر بذلك، ويغلب على ظنه أن الله تعالى سيعتم بخير. وأنواع هذا الفأل كثيرة، وتميزه موهبة من الله تعالى للعبد، وهو من الرزق الحسن الذي يرزقه المؤمن، فيستدل بهمة أو تغريدة، أو هدية أو ربح لم يتقصده، أو لقاء غائب أو

موافاة منتظر، أو فتح قفل أو موافقة اسم، أو نزول أمطار أو تفتح أزهار، وأشباه ذلك من الأفعال الحسنة والمناظر الجميلة، فيميل قلبه إلى السكينة، ويتأول النجاح واليسر والتسهيل. وهذه القرانن لغة قائمة بذاتها لا يفهمها إلا أهلها الذين يرزقهم الله تعالى إياها، وقاموسها ضخمة، ونحوها فيه رفع ونصب وليس فيه خفض وكسر، والمبتلى بالموازن المادية هو عن هذا الذوق بمعزل، ويظن ذلك بدعة أو دروشة إذ الأمر سنة .

**ومنها : معرفة علامة الدعاء الذى سيستجاب،** فإن اعتقادنا بإجابة الله الدعاء هو جذر الإيمان وعرقه العميق، وبعض الموفقين يعرفون علامة رجحان الاستجابة إذا الداعي دعا، من عبرة خانقة، أو شهقة مكتومة، أو نبرة صادقة، أو دعر شديد، أو ضراعة واطئة، أو سذاجة بريئة، أو عى فى اللغة ممن تعرف عنه الفصاحة، فى عشرات العلامات التى لا تقلد ولا تفتعل ويمكن تمييزها من قبل مؤمنين يهيبهم الله تمييزها، فيعلمون أن الله سيتجيب لآبد، ويعرفون ما سيقع فى المستقبل القريب أو البعيد، ويتخذون ذلك قرينة لهم وإشارة. وهذا المعنى متعلق بقول عمر رضى الله عنه: إنى لا أحمل هم الاستجابة ولكن أحمل هم الدعاء. أى يحمل هم الصدق فى التوجه وعمق التضرع، فإنهما إن كانا: كانت الاستجابة. وهؤلاء النفر يهيبهم الله تعالى تمييز ذلك فى الداعي، فيتوقعون أن يأتيه النصر أو الفرج على شكل من الأشكال، أو تحل بالمدعو عليه عقوبة بلدغة أو صدمة أو خسارة مال، والناس تنسبها إلى أفعى أو سيارة أو صافق معه بسوق أشطر منه، وهم يرون أولئك ملائكة مأمورين يؤدون دروهم فى الانتصار .

**ومنها أيضاً : معرفة علامة قبول الله تعالى لتفويض العباد إياه وتوكيلهم له سبحانه فى أمورهم،** وهما معنيان قريبان من الدعاء ومن جنسه، وليسا هما الدعاء نفسه. وبعض الناس يهيبهم الله تمييز علامات صدق العبد فى ذلك، فيترقبون حدثاً يناسب جلال الله وعظمته وعدله. ومن العلامات: المسكنة التى تبدو على العبد المفوض، أو الطمأنينة التامة التى تطغى عليه إذ الخطر محقق وقريب، أو الجرأة فى اقتحام الأمور وكأن الله قد أعلمه أنه حافظه وموصله، وأمثال ذلك. فدعك ممن لا يؤمن بكل هذا، وآمن معي ... أخی.

فإذا اجتمعت الرؤيا الصالحة الصادقة من داعية، مع فراسة من آخر، مع إلهام لآخر، مع حديث نفس عند رابع وفأل حسن: قوى المعنى الذى يذكره الأربعة قوة تجعل الداعية قريباً من الجزم بقراءة المستقبل، وما هو بجازم، تأدباً مع الله، وجاز له أن يخطط وفق قراءته. فإذا كانوا عشرة أو أكثر : ثلاثة مؤمنين يرون، وخمسة يتفرسون، وملهم، ومحدث: صار المعنى أقوى جداً، وساغ الركون إليه . وهكذا .

🌟 **نشئ فقه الدعوة من صفات الخلق وموازن القدر** فبتسخير المؤمن لظاهرته (الولاء) و(حركة الحياة) لخدمة مقاصده الخيرية، وبتعليم الله تعالى له سبل (السيطرة المستقبلية): يتسطيع بإذن الله أن يصنع الحياة بالطريقة التى يؤديه إليها اجتهاده أن الله يريد بها ويحبها.

علينا أن نفهم معركة الحياة الكبرى انطلاقاً من هذه الموازين الثلاثة .  
هى موازين خلق الله عليها الخلق، من الذرة إلى الكون الشاسع، وأدار هذا الخلق بقدره إذ هو يتحرك، من سقوط ورقة من شجرة إلى دوران مجرة .

فإذن : يجب أن يكون عملنا الدعوى موزوناً بها أيضاً، ليتم التناسق بين عملنا وعموم الكون، وإذا لم يكن ذلك حصل تناقض. هذا هو المبدأ فى حل الإشكال الدعوى الكبير .

إن إحلال التناسق بين موازين عملنا الدعوى وهذه الموازين والظواهر الكونية هو أصل الحقيقة القيادية التى يؤهل لها المسلم لقيادة الحياة .

إن التناسق والتناظر هما من القيم الجمالية التى أودعها الله فى الكائنات، وإن الله جميل يحب الجمال، كما فى الحديث الصحيح عند مسلم، وقد منح بعض حبه للجمال إلى المخلوقات لتحس بالجمال كما منح بعض رحمته والخلق بها يتراحمون، ومن تمام هذا الإحساس الجمالى أن نتكيف مع ظواهر الحياة هذه .

من هنا نشئ نظرية القيادة الإيمانية للحياة، ونعرف منهجية التربية القيادية فى الدعوى الإسلامية، وكيف يكون المؤمن متصدياً لقدر الخير، ويعارك القدر بالقدر : يعارك قدر الشر بقدر خير منسوب إلى الله تعالى هو أيضاً.

إن سر معركة الحياة هو بطاعة الله سبحانه، ويفوض المؤمن أمره إلى الله تعالى فيهديه السبيل ويمهد له الأمور ويكنس من أمامه العتاة كما كنسهم يوم بعث قبيل مقدم النبي صلى الله عليه وسلم لو لبثوا على الحياة، ولكن الله أزاحهم من طريق المؤمنين. وكم من أحزاب جاهلية اليوم في بلاد شتى تولى الله حربها حتى ضعفت وأصبح المجال مفتوحاً أمام الدعوة في تلك البلاد لتدخل الدعوة مرحلتها المتقدمة .

لسنا كأهل بدعة القدر. لا نقول بأننا ريشة في مهب الريح، ولا نقول : ما لنا وللمستقبل ! .  
كلا، بل نريد المستقبل، ليقيننا بأن (المستقبل لهذا الدين) .

فقط علينا التوكل على الله تعالى، ليوذن لنا في الوصول. ثم علينا استثمار ظواهر الحياة هذه.

الولاء مثل نهر جاف صاف، على أنا المسلم أن أستفيد منه من جهة ضفتي ولا أدع من في الضفة الأخرى يحتكرون الاستفادة .  
والحياة صنعها صانعون، فأكون أنا من صناعتها، ولا ألوم القدر، ولا أستسلم .

وحقيقة إمكان السيطرة المستقبلية تجعل مصارعنا واعية مخططة هادفة، وتجعل تغييرها غير معتمد على ثوروية اعتباطية بل على ثوروية إيمانية عاقلة .

فبهذه النظرية الثلاثية : نصنع الحياة .

باستثمار الولاء، وبمعرفة دور القدر في معركة الحياة والتصدى لقدر الخير بفعل الخيرات، وبالتحديد المستقبل والسعى الهادف له .

## فريق البناء

وأهم انعكاسات هذه النظرية على التخطيط الدعوى الاسلامى هو انعكاس ظاهرة الولاء، والتي توجب سعى قادة المسلمين لحيازة ولاء جمهور المسلمين، من خلال تقديم منفعة مائة لهم أو جهد حضارى قابل للتراكم وإحداث أثر منه، أو سد حاجة عاطفية أو جمالية لديهم.

كل القضية تتلخص في سؤال صيغته: أنا مسلم، فلم لا أكون بؤرة ومحوراً ومركزاً؟ ولم لا أستقطب الناس حولي؟ .

إذا كان حجم الولاء الإيماني للمؤمنين في المجتمع مقابلاً لحجم الولاء الجاهلي العصيانى فقد أذنت لهم الغلبة في الصراع، بل إذا كان الثلث، إذ المؤمن منصور بقوة الله على اثنين من الكافرين على الأقل.

ليس كل المؤمنين على استعداد لتقديم الطاعة، وهى الصورة القوية من صور الولاء المضاعف، وإنما الطاعة بين صناع الحياة والبور لتنسيق عملهم وتنظيمه، وهى بين الرواحل المذكورين فى حديث: الناس كابل مائة لا تكاد تجد فيها راحلة. أما أنصاف الرواحل وأرباعها وعموم الناس فليسوا على استعداد لبذل الالتزام القاطع الحازم، وإنما يستطيع صانع الحياة أن يحصل على ولائها له، فتطيعه فى أن دون آخر، وتسمع لقوله إذا حمى الوطيس وتصاعدت الحماسة ووضح التحدى جلياً ظاهراً، وهى لا تحيا بدون ولاء لأحد أقوى منها، جرياً مع السنة الكونية، فإن كان المسلم أسبق وأقوى وأكثر تفنناً: دارت فى فلكه وتبعته. وإن كان الفاجر أمهر وأيقظ وأفصح : سارت خلفه .

نفوس من لوازم حياتها الولاء، ولذلك لا يصعب تحصيل الولاء منها وتكثيفه وتنميته وصقله بالتربية ليكون واعاً وأشد ارتباطاً بالعنصر القائد له .

ويبدو لى من خلال التأمل فى الواقع الدعوى الاسلامى الحاضر أن نقطة الضعف فيه تتركز فى أن الدعاة يلحون فى طلب الطاعة من الناس، وذلك ممكن من طائفة منهم، وتركوا طلب الولاء من الطائفة الأخرى، ولعل الدعاة أن يصححوا طريقهم ويخرجوا من عزلتهم ويتوجهوا إلى عموم الناس واثقين بهم طالبين لولائهم، فإذا حصل الولاء فى صورته المصغرة حاولوا تكبيره، ثم يظل يتعاظم ويتراكم حتى يكون تياراً هادراً يرجح معادلة التنافس السياسى والاجتماعى لصالح الإسلام. والولاء أعم من الطاعة، وأهم

أركانها: أن يتحرى الموالى المصالح فيجلبها لمن والاه، ويدفع عنه الضرر ما استطاع، وينصره حين الحرج بالقول والفعل والمال، ويحفظ سره، من دون التزام قاطع مسبق، ولكن قد يتحمس الموالى فيمنح من والاه في ساعة العسرة أكثر مما يمنحه المبيع المطيع.

والأمر أيسر بكثير مما يظنه صاحب النظر الخارجى الذى لا يتعمق فى نظره، فإن بلداً إسلامياً يبلغ أهله عشرين مليوناً لا يستلزم رجحان المعادلة فيه لصالح العمل الإسلامى ملايين عديدة ، بمقدار النصف أو الثلث، وإنما بإلغاء عدد النساء من المعادلة يتقلص العدد إلى تسعة ملايين، إذ ما زال دورهن فى بلادنا الإسلامى من ضعيف. وبالغاء عدد الأطفال الذين هم دون سن البلوغ وكبار السن الذين اعتزلوا الحياة يتقلص العدد إلى ثلاثة ملايين. ثم بإلغاء عدد الأميين السذج فى الأرياف بخاصة، وعدد الجبناء الذين يخافون الفكر والسياسة، والمرضى الذين تنهكهم همومهم: يتقلص العدد إلى أقل من مليون بكثير، وربما إلى نصف مليون، هم الذين يحملون فكراً ويقفون موقفاً سياسياً، ولهم رأى وقول. فإذا حاز العمل الإسلامى نصفهم- أى ربع مليون من الموالين له - ترجحت المعادلة لصالحه بإذن الله، وهذا الربع مليون قد يقوده ثلاثة آلاف من صناعات الحياة المهرة ليس أكثر، وبقيّة عدد الدعاة يساعدون هؤلاء ويخدمونهم.

إن أكثر الناس لا شغل لهم بفكر أو إصلاح، وإنما مبدؤهم: نفسى نفسى، وأولادى أولادى، وزوجى زوجى. فانظر ما أسهل الأمر إذا ربت الدعوة الآلاف الثلاثة هؤلاء .

وأنا أزعج أن كل صاحب مهنة ذى مهارة فيها، وكل عالم فى باب من أبواب العلم، وكل فنان، وكل ذى مركز مالى متميز : يمكنه أن يكون صانعاً للحياة ومحوراً تدور حوله أعداد كبيرة من الناس ويتحلقون فى ولاء قد يتعاضم إلى طاعة، مع العلم أن الشخص الموالى قد يتعدد التأثير عليه من عدد من صناعات الحياة المؤثرين فى الآن والواحد. والأمثلة المشروحة توضح ذلك .

### ✿ بركة العلم الشرعى وأثره الثقيل

فالعلم الشرعى مثلاً هو من صناعات الحياة، الذى هو بحر، ويفتى فتواه عن تمكن، ويملاً الأسماع حين يقول: قال الشافعى، وقال مالك، ورجح ابن تيمية كذا، ووحدت هذا فى المبسوط، وتأييد عندى بما فى المدونة، ويشهد له حديث البخارى، وأورد ابن حجر فى فتح البارى شواهد أخرى...

هذا نمط العالم الذى يصنع الحياة، وليس هو المتقلل المكتفى بمختصر فى مذهب واحد . ورغم تغلت الناس فإن العرق الإيمانى ما زال ينبض فيهم، ولم يتخلوا عن الحمية الإيمانية، ويحتاجون فتوى مثل هذا العالم فى زواجهم وطلاقهم إن لم يكن فى بيوعهم، ويستطيع الماهر أن يتابع من يستفتيه أو تتصاعد حماسته بعد محاضرة يلقيها أو رسالة ينشرها، حتى تنضج المتابعة من بعد مدة وتتحول حاجة المستفتى أو حماسة السامع إلى ولاء له، ثم يعمق هذا الولاء على مر الأيام بالتوعية والتفقيه .

إن خطة الدعوة فى كل قطر مكلفة بأن تنتقى بعضاً من أنقى وأذكى منتسبيها من خريجي الكليات الشرعية، وليس ذلك بشرط، وتقيم لهم الدورات العلمية، وتفرغهم من ثقل الواجبات الادارية، وتتيح لهم سياحات إلى بلاد أخرى يجلسون فيها بين أيادى مشاهير العلماء، وتوفر للفقير منهم أمهات المراجع، ثم تخرجهم إلى المجتمع مفتين ومحاضرين وعاقدي ندوات وكاتبى مقالات فى اصحف ومؤلفى كتب. فإذا أخرجت الدعوة فى البلد الذى تعداده عشرين مليوناً عشرين من هذا النموذج من العلماء، ووطأت لهم المنابر، وأشاعت أفلام الفيديو والأشرطة الصوتية لدروسهم، وانتظرتهم عشر سنوات، فإن الواحد منهم قد ينجح فى تحصيل ولاء ثلاثمائة مسلم لم يكن منهم ولاء فى السابق، كمعدل، فهؤلاء ستة آلاف هم أول رصيدها الولائى فى بنك الترجيح : ترجيح المعادلة، وإذا أذنوا فيهم فى أوقات شتى أن أيها الناس إن الموقف الصحيح فى الانتخابات هو كذا، أو أن التبرع لقضية كذا واجب، أو أن مقاطعة الحزب العلمانى المضاد هو من تمام الإيمان: فإن هؤلاء ستكون منهم الاستجابة، فإذا بلغت الدعوة مرحلتها المتقدمة وأفتوهم بالجهد : كان الإسراع.

وعلى موازاة الرصيد الولائى الذى يجمعه هؤلاء الدعاة العلماء يتراكم رصيد آخر من التأصيل فى الجماعة هى بأمس الحاجة إليه، ينهضون به هم أيضاً، فيحفظون للدعوة أصالة الفكر وأصالة المنهج وأصالة الحوار الشورى مع الارتباط القوى بالمعانى الشرعية، ويمنعونها من تساهل وتفريط، ويعصمون أبناءها من الإفراط والغلو والتطرف.

ثم العلم خير كله، تتوزع في جميع الجوانب والاتجاهات الاجتماعية والنفسية والأخلاقية والسياسية والاقتصادية، مع ما فيه من رقابة صارمة على القيادة والأبواب معاً، وهي رقابة مقبولة محترمة لا يضجر منها من تتسلط عليه رغم صرامتها، لمكانة الشرع في النفوس وهيبته وبركة الانتساب إليه، وكل هذا رصيد حضارى مهم له دوره الفعال في عملية صناعة الحياة . فانظر إلى عظم أثر دور هؤلاء العشرين لو تجردوا وتعبوا في تربية أنفسهم وأطلوا السهر وحتى الظهر. ثم انظر إلى ضعف خطة دعوية لا تجعل في أولوياتها انتقاء هذه المجموعة وبذل أنواع المساعدة لها لإيصالها إلى مرتبة الفتوى وإمامة الناس . وبمواكبة العلماء: يجب أن يكون عدد من رواد الفكر الإسلامى، ومهمتهم: التعريف بخصائص الإسلام العامة ووصفه الإجمالى، وقواعد الفقه، وتتبع ما كان من مواقف المسلمين خلال التاريخ اقتراباً من أحكام الشرع وآداب الإيمان وابتعاداً عنهم، مع إسقاط ذلك كله على الواقع وتحليل حاضر العالم الإسلامى وتفسيره من منطلق الموازين الشرعية، ومقارنة الحلول الجاهلية بحلنا الإسلامى الشامل، وبيان عيوبها ونقصها، مع بذلك عناية خاصة بمشكلات البلد الذى يعيشون فيه وقضاياها واستنباط حلول مناسبة ضمن الحل الإسلامى العام. هذه هى وظيفة رجال الفكر الإسلامى، وهم دعاة أهل تميز وحدة ذكاء وقوة شخصية، وقد أخذت الخطة الدعوية بأيديهم فمكنتهم من المعرفة الشمولية، وخففت عنهم بعض الواجبات الدعوية التى يمكن أن يقوم بها غيرهم، فتسنى لهم الطواف على النوادى والجمعيات والجامعات، محاضرين ومحاورين، وكتب كل منهم رسائل عديدة راجت فى القطر وتعدته، ولم يتخلفوا عن إمداد الصحافة العامة والدعوية الخاصة بالمقالات، فكانوا بذلك من صناع الحياة وبناء الحضارة، وأمداوا بنك الترجيح -إذا هم خمسة فقط بعشرة آلاف ولاء ، ربما .

### ✿ أما الوعاظ فهم الصنف الثالث من صناع الحياة فى الخطة الدعوية

وتربيتهم أسهل، لطبيعة التعميم فى ثروتهم العلمية، ولذلك نفترض أن الجماعة يمكن أن تخرج إلى المجتمع خمسين واعظاً على الأقل، فى كل مدينة واعظ، مع تركيز عدد فى العاصمة والمدن الكبيرة. ومهمة هؤلاء: الضرب على الوتر العاطفى، وتحريك المشاعر، وإنهاض الهمم، وتناول حديث الجنة والنار، والموت والقبر، والزهديات، والرقائق، والقلبيات، والأخلاقيات الإيمانية، والتنقل بين الآيات والحديث وأبيات الشعر وقصص السلف والصالحين، وقال الفضيل وقال الثورى. ويتضاعف أثر الوعاظ بتعلمه قواعد النحو، ليكون فصيحاً، وبمطالعة كتب الأدب، ليكون ثرى اللغة، وببذل تربية سلفية له، ليبرأ من الحديث الموضوع والاسرائيليات والبدع التى تكثر فى أوراق الوعظ .

إن الوعاظ الواحد قد يحوز ولاء الخمسمائة فى المتوسط خلال عشر سنوات إذا استثمر تأثر السامعين به عبر اتصال فردى ورعاية خاصة، وبخاصة إذا وصلت أشرطة وعظه الأقصى فأثرت فيمن لا يستطيع الجلوس بين يديه، وهذا يعنى إضافة خمس وعشرين ألف ولاء إلى رصيد بنك الترجيح.

### كيف يحصل إعان الناس للواعظ؟

هى معادلة معقدة لا ندرى جميع أطرافها، ولكن يمكننا أن نميز أهم رقمين فيها :  
**(الأول)** أنه تيسير من الله تعالى، أى أن إيمان الواعظ يجعل لسانه صادقاً، فيميز الناس نبرة الصدق بإذن الله، فيتبعون، وما خرج من القلب دخل القلب، وما خرج من اللسان لا يتعدى الأذان، فالتأثير بقدره قادر سبحانه، وكان عطاء بن أبى رباح تلميذ ابن عباس رضى الله عنهما أسود أفتس أعمى، وفوق ذلك كان مقعداً ، ولم يمنعه ذلك أن يكون سيد التابعين بمكة وأن تملأ كتب التفسير والحديث والفقه أقواله.

**(الثانى)** أنها فصاحة وقابلية وعلم لا يحوجه إلى تكرار المعانى، وإنما يجدد شواهد دائماً، وهذه منح من الله أيضاً يعرفها الشكور، وبعض الوعاظ يتميز على بعض، ثم الله يزيد ويبارك .

فلو أن خطة الدعوة لا تدع الدعاة إلى أقدارهم يبواجهونها، بل تصارع القدر بالقدر، وتدفع قدر الجهل والانزواء الذى كلل على بعضهم بقدر العلم والجرأة على مواجهة الناس وتعليم الفصاحة : إذن لاشتغل رهط من بعد بطالة، ولتحركت طاقات من بعد تعطيل ، ولتقدمنا مرحلة فى صناعة الحياة.

وبموازاة هذا الأثر فإن الواعظين يقومون بدور مهم داخل الجماعة وخارجها فى إحلال التعادل مع آثار العقلانية الناتجة من كلام العلماء والمفكرين، ففى مباحث الفقه ومقارنات الفكر يبوسة وجفاف، ولا بد من ترطيب النفوس بنداوة العاطفيات التى هى بضاعة الوعاظ، ليحصل هذا التعادل، وهذا ميزان مهم فى مواصفات الدعوة النموذجية، ثم هو منهج حضارى عظيم الأهمية، فيكون وجود الوعاظ من أركان بناء الحضارة الإسلامية الجديدة، ويصدق عليهم وصف صناعة الحياة من هذه الجهة أيضاً، ويا لها من صناعة .

## ✿ حروف ومنظار ومشروط

وقد استبشرنا بهذه الأمثلة الثلاثة لوضوحها، ولأنه من جنس ولعلنا، فهل نتفهم أيضاً دور الصناعات الآخرين بمثل هذه الحماسة؟ منهم شعراء الدعوة، ووجودهم ضرورة من الضرورات، لأن بعض الناس أهل عقلانية، ولذلك نقتنعهم بالمنطق والتأصيل والقواعد والمحاکمات الفكرية، وأما السواد الأعظم فتحركهم العواطف، ولا يمكن تحصيل ولاهم إلا بالمجازيات والأخيلة والسياسة فى الأقصى البعيدة للمعاني والأمثلة والاستعارات والمترادفات، وإذا كان تأثير المفكر والمفتى علمياً، فإن تأثير الشاعر أخلاقى من جهة، وهمى من جهة أخرى، يوجب للنفوس البذل، ويوجد فيها الاستعداد لركوب المصاعب، وبخاصة إذا نشر شعراء الدعوة وقت هبوب الرياح، فينزل الشعراء ليضرموا حرارة التحدى ويغرسوا روح الهدم والبناء .

إن فصلاً بين شباب الدعوة عن ذوى القابلية الشعرية، والتقاط عدد منهم وتدريبهم وتشجيعهم هو من الأولويات الواجبة فى الخطة الجادة، ليصفو منهم للدعوة فى القطر خمسة، من بين فحل مجيد تعلق قصاده فى أستار الكعبة، وآخر ممد ومعين، ليضيف جميعهم خلال تسع سنوات من التزئم خمسة آلاف ولى إلى الرصيد، ثم ليرفعوا العدد إلى خمسين فى السنة العاشرة يوم يهتز اللواء، فتبنى أبياتهم بيوت المدينة الفاضلة .

وكتاب القصص من صناعات الحياة، وقد برع فى هذا الباب اليساريون ودعاة الانحلال، وأحدهم يكفيه أن يدس فى القصة جملة لتستقر فى قلب البرئ، فيعتقدها، ومن تراكم الجمل والكلمات عبر نشر قصصى واسع يتركب المعنى الكبير، وهذا هو شأن الشعراء أيضاً وعموم الأدباء، وقد روى محمد حسين رحمه الله فى كتابه عن الاتجاهات الوطنية فى الأدب العربى الحديث كيف تم الانحراف الضخم عن المعانى الإسلامية على هذا النمط خلال مائة سنة .

كذلك نحن، ليس شرطاً أن نقص كل قصة الإيمان فى رواية واحدة، وإنما نودع المعنى بعد المعنى، ونُدع التراكم يحدث الثقل . إن حملة أدبية إسلامية يجب أن تردف حملة العلم والتأصيل، وعلينا أن نفهم التكامل الحاصل بينهما وأن نترجم فهمنا إلى التزامات خطية، ولا بد أن يقوم فى أنفسنا المعنى التكليفى الواسع لحقيقة كوننا نروم صناعة الحياة وتجديد دماء حضارة عريقة وبناء أساس علمى شامل ذى محيط من العواطف الموزونة، ومثل هذه المهمة الجبارة لا تكفيها فورة موسمية ولا حفنة شعارات أو ترداد هتافات، وإنما هو تلقين الموازين والغرس والسقى قطرة بعد قطرة .

والفلكى فى مرصده يصنع الحياة أيضاً، وعلى الدعاة أن ينتدبوا منهم اثنين يتعلمان خارطة المساء وعلم البروج وأوصاف المجرات وأخبار الثقوب السوداء، والفلك علم صعب يحتاج الرياضيات المتقدمة والصبر على الرصد والنظر إلى العلياء، ولذلك لا نطمع بأكثر من اثنين، بل حيازة الواحد إنجاز دعوى كبير، وسيقال عنه : هذا عين من أعيان الأمة حرى إن قال أن يجاب، وسيتكلم فى التلفزيون والجمعيات والجامعات، وتتسابق المدارس فى دعوته للكلام، وكلهم يسمعون له وكأن على رؤسهم الطير، لأخباره العجيبة الغريبة، وسيؤذن فى الناس من مرصده كما يؤذن الواعظ من على منبره: أن أيها الناس آمنوا، فيؤمن نصف المؤمن، ويتضاعف إيمان المؤمن، ويظل يجمع الولاء على مدى عشر سنوات حتى يزداد الرصيد سبعة آلاف، مع تنقية للمحيط، وأدع دور المقدمات الحضارية، ولا تستطيع أعتى الحكومات الظالمة أن تمنعه عن اعتلاء المنصات، لهيبة علم الفلك فى نفوس الناس ولذته . وينتسب إلى صفوف الدعوة منات الأطباء، ولكن خمسين منهم يمكن أن يكونوا من صناعات الحياة حقاً، وهم الذين تخصصوا بجراحة القلب والدماغ والعمليات الصعبة ونالوا أعلى الشهادات فى ذلك، والذين تخصصوا بعلاج السرطان والطب النفسى، وبما وازى ذلك، فإن الجراح يجرى ألف عملية خلال عشر سنوات، على الأقل، ومع كل عملية يشكره أبناء المريض وأشقاءه وأصدقائه وجيرانه، فإذا كان نبهاً: انتقى منهم عشرة فوطد نهم علاقته من مركز القوة، ويظل يتصل بهم تلفونياً وبالمراسلة، ويبارك لهم أعيادهم، ويعزيهم عند المصائب، ويرسل لهم الكتب والأشرطة، ومن خلال كل ذلك يؤذن فيهم أن آمنوا، وأن الإسلام حق، وأن رجال الإسلام أختيار. وتعاونته سكرتارية نشطة فى ذلك وتقوم بتذكيره، فيحصل بذلك على ولاء واحد على الأقل منهم حتى لو أهدرنا التسعة، أى يقدم للدعوة ألف ولى خلال حياته الطبية الدعوية، أى تحوز الدعوة خمسين ألفاً عبر أذان الأطباء الخمسين من صناعات الحياة، وهذه ثروة عظيمة تضاف إلى رصيد مصرفنا أعظم بها، بل بنصفها، بل بربعها .

## ✿ صفحات الجمال تهدى نفحات الاجتهاد

والمهندس المعمارى من أهم صناعات الحياة، كفإن بعض عجيبة النحل يكمن فى سداسياتها، ونصف جمال الحياة بين جناحى فراشة . إن حس الجمال رزق من الله وزعه على المخلوقات من بعض ما عنده من جمال وحب للجمال، كما وزع بعض الرحمة التى عنده .

فجمال الزهور الجميلة من مقدمات تلقيحها، وجمال الديك والطاووس إنما كان لأن عملية البيض والحضن صعبة تأباها الأنتى لولا جاذبية الجمال.

وقد سخر الله تعالى بإذنه بعض الناس أن يكونوا صناعاً للجمال، والمعماري منهم، فهو يبني النفوس والأذواق وجيد الطباع بمبادئ التناظر والتعادل والتناسق والتدرج والتناسب.

المدينة الجميلة جزء من الحياة، ولذلك حين يقول المعماريون المؤمنون بعد أن يساهموا في بنائها أن أيها الناس آمنوا: سيؤمن منهم عدد ، وألف ضعف ذلك العدد تكون نفسه قد تعادلت وأنكرت الشذوذ واقتربت من الإيمان، بإيحاءات الجمال التي صاغها المهندسون.

يؤذنون من على عروشهم المعمارية في آن واحد مع المؤذنين من على منابر المساجد.

إن جانباً من محنة الناس يكمن في فساد الأذواق وانحراف الطباع، ولا يقبل الكفر إلا صاحب نفس معكوسة منكوسة، وسوى النفس أقرب إلى الإيمان، وبحق رصد عباس محمود العقاد انتساب أصحاب الانحرافات إلى الشيوعية حتى وصفها بأنها مذهب ذوى العاهات.

### إن المعماري قرين الواظف في تسوية النفوس

هي فلسفة في الحياة ..... لكن اسمها جدار ورواق .

وفلسفة في القيم ..... لكن يقبونها باباً وباحة .

وحشد من المعاني .... مترجم بأقواس وأعمدة وأخشاب نافرة .

وحاجة الدعوة إلى رهط من المعماريين يشاركون في تعليم الدعاة والمؤمنين موازين الجمال هي من جنس حاجتها إلى علماء يعلمونهم موازين المزني وشوافع الشافعي وملاك مصالح مالك، ولو فوض الأمر إلى لدفعت ربع أذكياء شباب الدعوة إلى دراسة فنون العمارة، ولأدخلت ذلك في الخطة وجعلته حتماً واجباً، فإن تعادل العقلانية والعاطفية في الأداء الدعوى يلزمه الاقتران بالمعايير الجمالية، ليتم بهذه الثلاث استواء الصناعة الحيوية، ومن الخطأ أن نفهم أن الدور المعماري يلزمه التعقد والبذخ والتعظيم والإسراف والتطاول والتبذير والتكلف ليؤدي وظيفته، وإنما يؤديه من خلال البساطة والتواضع ومجانسة البيئة والجرى مع الفطرة واستعمال المواد الخام غير المصنعة، وبدأ الجيل الجديد من المعماريين يعود إلى هذه المعاني الأصيلة، ولعل أثر جماعة المعماريين المؤمنين في التربية الدعوية هو الجزء الناقص فيها المكمل لأثار الحسن البصري والجنيد .

إن مدينتنا الفاضلة كما تبنيتها أبيات الشعراء وتضع قوانينها طوائف الفقهاء، فإنها تتلألاً بلمسات فنون العمارة، لتكون وحدة واحدة متجانسة بمادتها ومعانيها.

وقد كانت إنجازات السلف أيام الازدهار الحضاري كذلك .

فاس المغربية وحدة واحدة كلها، وكلها مصانة الآن محفوظة من الهدم والتغيير بإشراف الأمم المتحدة، وهي كتلة معمارية كلها، ومعلم من معالم الإنسانية حين تنضج ويسمو سدوقها.

وقصر الحمراء ومقرباته وأركان غرناطة كتلة مندمجة .

ومدارس بغداد وخاناتها وبقايا سورها ومساجدها وأزقتها ومستنصريتها علاقات جمالية مؤداة على نسق، بعضها من بعض.

وصنعاء لوحة فنية واحدة، وكذا دمشق والقاهرة، والقيروان وتلمسان، وبخارى وسمرقند، وأصفهان واستانبول.

ولهذا فإن سواء أنفس أجيال المسلمين بالأمس هو من تأثير هذه المعطيات الحضارية الفنية كما هو تأثير الإيمان.

وجزء من محنة عواصم النفط اليوم يكمن في الفوضى المعمارية التي عكرت النفوس حين لم يستخدم المال في منهجية معمارية واحدة متناسقة متناسبة، وإنما استوردت مذاهب المهندسين استيراداً عشوائياً، فصار التناقض المزرى، وتوترت القلوب حتى افتقدنا السكينة .

ولهذا فإن أدوار كبار المهندسين الذين يصرون على مواصلة الارتباط بالتراث وتوحيد المستقى، مثل حسن فتحي بمصر ، وقد تجاوز الثمانين، ومحمد مكية ورفعت الجاردي وأمثالها بالعراق: هي أدوار بطولية، وهي أدوار إسلامية إيمانية وإن لم يفهم بعضهم كل قصة الحياة ولبثت يتوهم العلمانية، لغلبة أثر المنشأة وبقية التقليد لموجة المراهقة الفكرية التي عمت العالم الإسلامي

بين الحريين العالميتين على وجه الخصوص.

واليوم يسير المعماري أحمد الرستمانى وفريقه بمكتب التراث فى دى بختى ثابتة ويمضى قدماً فى استلهام التراث حقاً . إن الناس إذا عرفت مقاييس الجمال فليس أجمل من الإيمان والأخلاق والمعروف، ولذلك فإن على خطة الدعوة فى كل بلد أن تدفع مائة لدراسة العمارة، لينبغ منهم عشرة ويصلوا إلى درجة الإبداع والاجتهاد وجودة العطاء فيكون هؤلاء العشرة من صناعات الحياة، بمشاركتهم فى تحسين المحيط وترويض الأذواق، وباللبينات الحضارية التى يرسونها فى أساس النهضة الإسلامية المستأنفة، وبأولئك أهل الولاء الذين يضيفونهم إلى رصيد مصرف الترجيح.

بل المتأمل يذهب إلى أبعد من هذا، ويجد فى الموازين المعمارية مادة لتعميق الوعى التنظيمى والتربوى وإتقان فقه الدعوة . ففكرة المركزية التى يضجر منها بعضهم إنما هى حقيقة حيوية ومعمارية تعظ الداعية بأن الأمر نسبي، وأنه ليس من الصواب إطلاق تفضيل اللامركزية الإدارية والاستطرداد فيها، بل فى المركزية قوام الأداء، وهى فرع من حقيقة الولاء، ومثلها المعماري ما يكون من شخوص قبة مسجد مثلاً، فكأنها جمعت ما فى البيئة المحيطة وربطته بأنسب القربى معها، ولخصت وركزت ما هنالك حولها، فلا تكون فى الساحة والعرصة الواسعة أشكال معمارية متسيبة متروكة عائمة، بل هى مربوطة بعلاقة محورها القبة، ثم يكون محراب المسجد عاكساً لمعاني مركزية داخلية أخرى مكتملة، من ارتباط الجوانب والأعمدة والنوافذ به كمرکز، فتتولد عندنا إحصاءات مضاعفة من وجود مركزية داخل مركزية تؤلف جانباً من الأنماط الحيوية الصحيحة، بدليل حلول التجانس فيها وقبول النفس لها، وهو معنى يعظ الضجر من مركزية الأعمال ويناديه أن لا سلب فى ذلك، وإنما ثم نور على نور.

وفى العمارة أفكار أساسية كثيرة، مثل المحورية، وهى عكس المركزية اللامعة الجامعة الساعية إلى تكثيف المعنى، أى هى النشر والتوزيع المنتظم الذى يبقى الشئ فى ابتعاده واستقلاله مرتبطاً بعلاقة لا تدعه ينفلت أو ينفرد أو يطيش ولهذا المبدأ تطبيق تربوى أيضاً، بل وجود المحورية المعمارية يطبع فى لا شعور الناظر معناها من خلال النظر المسترسل البرئ. كذلك فكرة التنوير المتكافئ، وفكرة انتقال الوظائف الفرعية بين أجزاء المبنى وتبادلها بسلاسة ويسر وتكاملها فى أداء الوظيفة الكبيرة هى فكرة معمارية عظيمة الأثر فى الفكر التنظيمى، والاعتقاد على استعمال الفرد لمبنى على هذه الهيئة من سهولة النفاذ والحركة وجزالة الاستفادة من كل زاوية ودھليز وباحة هو فى نفس الوقت تربية له على تجويد تخطيطاته التنظيمية الإدارية فى اتجاه التكامل الوظيفى وتوفير الجهد المبذول، ومنجم الوزارات بالكويت هو نموذج جيد لذلك، وهو مدرسة تربي أهل الكويت على هذه المعانى وهم لا يشعرون. ويسعنا أن نطور وعينا الحيوى بأن نعيش سويكات مع رواية المعماريين لتجاربههم، وقد عشت ساعة مع المعماري الإيطالى الصاعد (بيانو) عبر حلقة تلفزيونية، وكان يتكلم من شقته التراثية فى أزقة جنوا القديمة وكأنه يملك كل إيطاليا. وعشت أيضاً مع المعماري العراقى رفعت الجادرجى فى كتابه ( بين شارع طه وهمرسمت) الذى أودع فيه جانباً من فلسفته المعمارية وروى معها خبر غيره. وشارع طه ببغداد حيث يقع بيت أبيه الذى هو أحد قادة السياسة العلمانية فى العراق، وهمرسمت هى الكلية المعمارية التى درس فيها بلندن.

فهو يدعو إلى ضرورة تمثل العمارة بمنشأة مادية يستخدمها الجمهور من أجل أن ينتشر الوعى المعماري، وهذا كلام صائب، يشبهه تمثل الإيمان والفكر بأشخاص قدوات يخالطون الناس، لتنتشر عدوى الخير. وهو يعتبر المرونة فى الحركة فى المنشأة: التجسيد الكامل للفكر المعماري، بل هذا من أول مفاهيم العمارة بعد مفهومها الجمالى، وهو مفهوم أساسى فى التخطيط الإسلامى كذلك.

ويرى أن كل عمل معمارى يؤثر فيه عاملان: الشكل القديم المتوارث المتاح والإبداع الفردى التطويرى. وهذا ميزان فى العمل الإسلامى أيضاً، فالتربية على فهم الأصالة والتدريب على التأصيل والسلفية من أهم وظائف المنهج التربوى، ولكننا نجعل الشورى محرماً للإبداع والاجتهاد ونبذ التقليد الجراف، فيبقى أحداً مشدوداً أبداً إلى الثوابت، ويتجول فى الوقت نفسه فى ساحات المتغيرات. وعنده أن تقويم صناعات غير تقويم روما، إذ لا بد من ملاحظة أثر التطور الاجتماعى والتقى ونوع المفهوم العاطفى والمناخ. وهذا ميزان عام فى غاية الصواب، ولكل قطر تأثيراته الذاتية فى العمل الإسلامى الذى فيه، ولا يجوز النقل الحرفى لتجارب الآخرين، كما لا يجوز تعميم النقد بناء على الظواهر، بل لا بد من ملاحظة الخلفيات والفروق.

وعنده أن نوع المواد والممكنة المتاحة تؤثر فى معنى العمارة، ولذلك كان من آثار تطوير الأعمدة باستعمال الحديد والخرسانة: تقليل مهمة الجدران فى إسناد البناء عموماً وحمل ثقل السقف والطوابق العليا بخاصة، فأتيج للمعماري وضع النوافذ العريضة الطويلة وكثرة استعمال الزجاج، فأتيجت من ثم الإنارة الوافرة والإطلالة على الجمال المحيط بالمبنى من خضرة ومياه من داخل المبنى. وهذه موازين تصلح للتخطيط الإسلامى، إذ إن وجود رجال الصفوة والقاعدة الصلبة يتيح انفتاح الجماعة الدعوية على المجتمع وتكثيف الخلطة به، لرجحان التأثير وقلة الخوف من التأثير. وكذلك الانفتاح على الثقافة الشمولية والفنون والمعرفة

العالمية، لوفرة الاطمئنان إلى ثبات عناصر الدعاة وقابليتهم – إذ هم أقوياء – على التمييز وانتقاء المعانى الصائبة وغربة المسموع والمقروء، ونبذ واطراح اللغو والأخطاء والأوهام، بينما تميل الدعوة في حالة ضعف تربية رجاها إلى عصمتهم عن تأثيرات المجتمع والثقافات بالعزلة والانتكفاء على النفس.

وعنده أن العمارة طراز فردى وطراز عام في آن واحد، وأحدهما يؤثر في الآخر، فالمعماري ينوب عن المجتمع العام في تحديد شكل عمارته، فيترك أثره الفردى، ثم هو في إبداعه الخاص لا يوغل في الفردية، لنلا يشذ ويغرب، فكأن المجتمع صار رقيباً عليه. وهذا هو دور مجالس الشورى والندوات الفكرية وحلقات حوار في الجماعة الإسلامية، بحيث تستفز الجماعة الداعية ليفكر ويجرب مغامرات العقل وطلب المعانى من مواطن المعالى، ولكنها في الوقت نفسه تجعل له مثابة دائمة تحت مظلة الرقابة الجماعية يفئ إليها ويرجع كلما غزا وجاب الصحراء.

وبكل هذا وضحت كيفية استيلاء المعماريين على صناعة الحياة، حتى أنهم ليكادون يحتكرونها في ظن المسترسل مع حماسنا لهم، لولا أن يرده ما يعلم من أن أهل الفضل والعلوم والتخصصات قد توزعتهم دائرة مفرغة مغلقة لا تعرف لها طرفاً . ولقد رأيت حسن فتحي أيضاً في حلقة تلفزيونية يتحدث عن مسيرته الطويلة، والقرية الإسلامية في أمريكا من إنجازاته، فازدت وعياً وقناعة. وكان لى تأمل طويل في لمسات محمد مكية بجامع الخلفاء ببغداد، ونظر إلى أعماله الأخرى، فتعلمت الكثير . فكن المعماري المسلم، أو المجهز له، أو الناظر لما تقترب يده الملائكية، لتفتح عرضات الحياة وتدق أبواب الحضارة ولا تكن الرابع فتترعب من بعد ما أردت لك المنطلق .

### بين صرير القصبه .. ورنه الذهب

والخطاطون من صناع الحياة، وعلينا أن نزاحم الفن الجاهلى بفن إسلامى نظيف، والخط من أهم وسائله، لأن الحاسة الجمالية في جمهور الناس تحتاج إشباعاً، وهم ليسوا مثل أعيان المؤمنين يستطيون الجد والصرامة، فإن لم نستطع سد فراغهم وتطلعاتهم بالمباح: مالوا إلى التهنك ومقدمات الاباحية، أو استظرفوا الفوضوية الصاخبة، ومن إتمام شوط المعماري في التربية الجمالية أن يبرز لهم الخطاط يمتع أنظارهم باستدارة العين، واستقامة الألف، وتداخل الهاء، وامتداد السين، وركوع الكاف، وسجود الراء، وانفتاح الدال، وينقلهم من ثلث إلى ديوانى، ومن تعليقات فارس إلى أعمدة الكوفة، والزخرفة من قبل ذلك وبعده تتفجر بين يديه وتمتد إلى حيث اللانهاية، فكل تلميذ له هو للإيمان لوى، وكل حائز لرقعة من فنه على جدار بيته هو للإحسان صفى، وتجليته للنفوس أكبر، وتسكينه للقلق أعظم، وتسليته للحزين أبلغ، فإن شغله هو الحرص على تكييف أعماق الذات من خلال حركات الظاهر، فهو مسلم ولعه إنطاق حروف آيات الإسلام ودرر قول نبي الإسلام عليه السلام، ووجهته تربية ذوق رجال الإسلام، وغايته جلاء جمال الإسلام، ومصعب أحباره وألوانه في وادى الإسلام، فهو للإسلام ومن الإسلام وبالإسلام.

والكشف عن الآثار: صنعة المؤمنين أيضاً، فإن المحافظة على الآثار الإسلامية وإبرازها تغرس في النفوس احترام الإسلام في اللاشعور، ولا يكون رانيها المتفهم لتاريخها ملحدأ. وحين ينبرى خمسة من الآثار بين يقولون بوجود المحافظة على المنذنة الفلانية وعلى أقواس تنتسب لها فإنهم يكونون قد وطأوا الأرض والمسار أمام الواعظين حين يدعون إلى الإسلام المحض والمفاصلة والعودة بالأمة إلى ما أصلح أولها.

والكشف عن آثار الظالمين فيه موعظة للناس بالمنظر الشاخص أن : إياكم أن تظلموا! وفي سجن الباستيل تذكير بمصير الجبروت، وفي جثة فرعون الناجى ببدنه آية رادعة ودليل إعجاز .

ورأيت فى التلفزيون العربى الإيرانى الملتقط فى الخليج حلقة تلفزيونية يتكلم فيها على شريعتى بالفارسية بخطبته التى عنوانها (نعم هكذا كان يا أختى)، وصوت الترجمة العربية أعلى من نبرته، ولكن يواكبها، وقد أضاف المخرج صوراً وثائقية وممثلة عن الأماكن والأحداث التى يتحدث عنها، فرأيت وسمعت شيئاً عجباً شدنى وهزنى.

وشريعتى هذا شيعى معتدل منكر على بدع التشيع الصفوى، وقد أخبرنى الخبير الثقة بصحة دعوى اعتداله مع بقايا قليلة لم يبرأ منها تمام البراءة، وهو عالم اجتماع من الطراز الأول، ومثقف بثقافة شمولية واسعة، وكتبته محرمة فى إيران أيام الخمينى بسبب اعتداله سوى مثل هذه الحلقة التى تذاق بالعربية ولا تؤثر فى أهل إيران، وكان الشاه قد أمر السفاكين فى سافاه فآغاثوه بباريس، غفر الله له.

وقد انحدر هادراً بمقدرة خطابية عالية واضحة فى نبرته رغم جهلى بلغته، فذكر حيرة الفلاسفة والمصلحين فى الأمم كلها أمام محاولة انتشار الإنسان من وهدهته واستخذانه للظالمين لآذين أرهقوه، وكيف أراد كونفوشيوس رفع رأس أهل الصين من بعد ما رأى الأباطرة يستخفونهم ويأمرونهم ببناء سور الصين العظيم وصنع ألوف التماثيل للجنود والخيال يخلدون بها أحداث المعارك، لكن

كونفوشيوس فشل لأنه أراد الملائمة بين حاجة فلاح الصين وشهوة الامبراطور. وكان زرادشت أفضل منه، لأنه انطلق في إصلاحه من أروقة بلاط كسرى، فكان أسيراً لسياسة المداراة. أما كهنة مصر فقد خدعوه المستضعفين بالعقائد القدرية السلبية حتى لم يعد فيهم عرق ينبض حين كانت أجسادهم تتهاوى تحت ثقل حجارة تخليد فرعون إذ هم يرفعون صرح الأهرام، وكان ضرب السياط الذي يلهب ظهورهم يؤلف صرح الأهرام، وكان ضرب السياط الذي يلهب ظهورهم يؤلف أنغام النوم واستمراء الذل. حتى الاغريق: ألهى فلاسفتهم عامتهم بالمجاز الذي لا تخصيص معه، فحاروا حيرتهم الكبيرة، ولم تنجب الانسانية غير متلفت يروم الهداية وقد ضل الطريق، إلا الراعى الذي ظهر بمكة صلى الله عليه وسلم بعيداً عن العروش والبلاطات والفلسفات التعميمية، فأشار وخصص، وأرشد المستضعفين، فاهتزت أركان الجبابرة، وتحطمت الطواغيت! .

وأيم الله لقد هزنى ونفضنى وأنا العريق فى درب الاسلام، وعندها أدركت ما كان يفعله كلامه فى النفوس الايرانية حتى هوت بالشاه عن عليانه، وكان فى سماعى تلقين لى عن دور صناع الحياة كيف يكون، ودور علماء الآثار والتاريخ فى تعليم صناع الحياة دروس الحياة فى امتدادها الفسيح.

إن اكتشاف الدعاة لأبعاد نظرية صناعة الحياة هو سطر فى إعلان انتصار الدعوة الإسلامية فى الربع الأول من القرن الخامس عشر.

وعلى خمسة من الدعاة أن ينتدبوا أنفسهم للنش فى الآثار ونفض الغبار عن بناء الأجداد، ليرجعوا إلى إخوانهم بالخبر اليقين، وبخمس آلاف ولاء يضافون إلى الرصيد .

والفيلسوف من صناع الحياة، ولا بد أن نقول لبعض الناس خبر أرسطوا وسقراط، وأن دعوة لا تملك ثلاثة باحثين فى الفلسفة مع فيلسوف مبدع على رأسهم هى دعوة لا يمكنها أن تؤثر فى جميع المثقفين.

ولماذا نشط بحجرة قلم سهلة على كل المتأثرين بالثقافة الغربية؟

ألا يجوز أن نفترض أنهم ضحايا وأن نحدثهم بلسان يفهمونه؟

ومن قال إن قدرهم الكفر؟ أولاً يمكن أن يكون قدرهم الإيمان والرفل طمأنينته لو أوضح لهم موضح خبر ديكارت وكانت فقيل ورفض، ويكون كالغزالي حين نقض الفلسفة واستعمل لغتها وألفاظها حتى صار كتابه الذى بين فيه (تهافت الفلاسفة) مفصلاً من

مفاصل التاريخ الفكرى للدعوة الإسلامية؟

إن التخطيط الدعوى مكلف بمحاولة إبراز هؤلاء المتفلسفين الأربعة. ولكنه لكى يحصل عليهم لابد أن يدفع بعشرين إلى دراسة الفلسفة، ثم ينتظر بروز المبدعين منهم ليجلبوا إلى رصيد الولاة ثلاثة آلاف فى عشر سنوات، وينشروا التخذيلى فى صفوف الملاحدة، ويمهدوا بعقلانيتهم للعاطفى الواعظ طريق التأثير.

والنسابة العالم بأَسباب القبائل والعوائل وشجرات الشرف هو من صناع الحياة، فإن الناس يحتاجونه ويأثسون به، والدعوة تحتاجه بعد ما تعمدت حكومات الاشتراكية طمس أنساب الناس لإتاحة مجال الصعود والأمر والنهى للغوغاء والنكرات والدخلاء، حتى صدرت قوانين بتحريم الانتساب إلى قبيلة أو مدينة، وما كان (كوهين) ليصل إلى مرافقة على على عامر فى تفتيشه لدفاعات الجولان لولا أن التربية الاشتراكية علمت من هنالك أن لا يسأل عن نسب رقيقه! .

ليس علم الأنساب من الباطل، ولا تكبر ثم، وإنما إذا اجتمع النسب الشريف مع العمل الصالح فنعمنا هو، والشافعية ميزوا الشافعى على الفقهاء بأنه قرشى، ورأيت إمام الحرمين الجوينى متحمساً لذلك فى كتابه: الكافية فى الجدل.

وقد وجدنا بالاستقراء الاجتماعى أن الأخلاق الطبيعية الأساسية هى أوفر لدى أبناء العائلات العريقة، من شجاعة وكرم ووفاء وعدم غدر وصدق وكراهة الطعن من الخلف، مع أنهم يتلبسون بمنكرات، من زنا وشرب خمر، إلا أن هذه سينات طارئة، يمكن التوبة منها من قريب، وإنما البناء فى الحياة: بناء تلك الأخلاق الأساسية.

وتساؤل: وهل تزنى الحرة؟ : جواب على كل اعتراض .

ثم التاجر المسلم هو من صناع الحياة، ونعم الصناع هم، بل هم صناع الصناع، وعلى خطة الدعوة أن تتوب توبة نصوحة من إسرافها القديم فى تعليم الدعاة كراهة المال وحب الوظائف الحكومية، وأن ترجع إلى وصية مؤسسها رحمه الله فى تفضيل أبواب الرزق الحرة، وأنا أفنى فتوى لأهل المذاهب الأربعة من الدعاة أن من ملك منهم ثمن ثلاثمائة وخمسة وستين رغيف خبز وجرة من الخل يجعله إداماً، وألفاً وخمساً وتسعين تمرة: فإن الوظيفة عليه حرام، ولينزل إلى السوق يجمع المال ويصفق وينافس، إلا وظيفة لها مردود دعوى، وليبدأ ببيع حبل أو حصير، فإن الذهب بإذن الله آتية .

كلنا يجيد سب اليهود الذين استحوذوا على الأموال والأسواق، ويضجر من المارون والأقباط والبهرة والقاديانية والمبتدعة والأقليات إذ كان منهم السبق إلى المال، بتسهيل من الدوائر الاستعمارية في فترة الاستعمار جزماً، وبمساعدة من قوى خفية أخرى ربما، ولكننا لم نحسن غير المسببة .

### بدل أن تلعن الظلام أوقد شمعة .

يجب أن نزيح الفاسقين ونحل بدلهم، على نظرية الفيزياء في الازاحة والإحلال .

إن قوة الاقتصاد الإسلامي ستكون عاملاً من عوامل قوة الدعوة الإسلامية، إذ إضافة إلى اطمئنان المسلمين في التعامل مع سوق إسلامي ومنظومة شركات إسلامية، وإضافة إلى ما سيثبته رجل المال المسلم من معنويات في النفوس وأذان في المسلمين أن كونوا أقوياء وزاحموا بالمناكب، فإن قوة المال ستكون في خدمة الأمة والدعوة والسياسة والفكر، وسيسند العملية الإيمانية الشاملة، وبدل أن ينطلق الداعية من الرباطات والحصران الرثة ودهاليز الدروشة فإنه سينطلق من مواطن التأثير ومباني الشركات. نعم، سبقت حصيرة في الميزان ناطحة سحب، لكنها الناطحة النفاقية الفاجرة. أما حين تنطح السحاب اتسداداً من عزها الإسلامي وشموخاً بالعفاف الإيماني فإنها تسبق مليون حصيرة .

لنترك المنطق غير المسؤول، فقد أن لنا أن نكتسب بعض الوعي وأن نتعلم بعض أسرار الحياة .

لا بد أن ننزل إلى ميدان الصناعة والزراعة والعقار والاستيراد والتصدير، وبخاصة في البلاد الحرة التي لا ينال أموالنا فيها ظلم، وفي العالم الفسيح متسع للاستثمار .

يجب أن نوجد معادلة اقتصادية جديدة، وأن نشكر المقتحم.

المال ينطق، ورنه الذهب قرينة هدير الواعظ من على منبره وهتاف المتحمس في حفلته وشارعه .

فحتى متى نذهل .... حتى متى؟

كن حملاً في السوق، لكن قرر مع أول خطوة لك فيه أن تصير تاجراً أو عقارياً أو مدير شركة، فستصير وتصل بإذن الله. المهم تصميمك وأن لا تستطيب جلسة الوظيفة الحكومية .

قرر قبول الجوع سنة تأكل الخبز بالخل. هذا هو المهم، إذ ستأتيك الأموال من بعد، وستجد مراغماً كثيراً في الأرض وسعة، وتكون من صناع الحياة، فتستكتسب علماً إذ أنت في الطريق، وتهدى إليك الأسرار في مجالسك، وتتجمل بالأذواق من خلال ندماتك، وتتولد عندك الأفكار عبر سياحاتك والمعارض التجارية التي تزورها وقد حشد لك فيها أهلها خلاصة عقول البشر ومبتكراتهم وهمهم في مكان واحد .

معادلة المال والعلم والجمال تجعلنا الأكفاء

وهكذا أهل العلوم والفنون والمهن الأخرى

هكذا الفيزيائي الذي يشارك في بحوث الذرة والليزر ويكون فخر الناس في بلده أو لدى أبناء الأمة الإسلامية عموماً، والمدرس في المدرسة الثانوية الذي يبني أساس العقول والمعنويات لدى الجيل الصاعد، والأستاذ الجامعي الذي يملأ الأسماع ببحوثه ومحاضراته، والمؤرخ، والاقتصادي المنظر، والخبير النفطي الذي يستوعب خبر الأسعار وأوبك وأوبك وينقد ويصحح، والمجاهد في أرض الثورات، والإعلامي الجري المبتكر، والفنان المصور بالكاميرا، والرسام التجريدي، والمهندس المخترع، وخبير المخطوطات، إلى ألف تخصص ومهنة، وإنما مثلنا لك الأمثلة وعليك القياس، والأمر كما قال على لأبي الأسود الدؤلي رضي الله عنهما يعلمه أصل النحو : الكلام حرف واسم وفعل، وانح منحى هذا، فكان علم النحو الواسع بالاستقراء ثم بالاشتقاق، وقد قلنا لك إن صناع الحياة واعظ وشاعر ومعماري وتاجر، وانح منحى هذا، وارف الأذان مع ألف وصلوا درجة الاجتهاد في فنهم: تمنحك الحياة زمامها لتفوقها .

حتى أصحاب الصوت الجميل الذين يتلون القرآن، فإنهم سبب استرواح أنفس المؤمنين، وتغمر سامعهم السكينة .

إن نظرية صناعة الحياة في خلاصتها هي تنبيه لضرورة إمساك الدعاة بمصادر القوة العلمية والمحركات العاطفية والجاذبية الجمالية والتسهيلات المالية .

إنها نظرية القدوات، والنقاط الجامعة، والبؤر اللامعة .

وهي مصادر الولاء التي ترفع الرصيد في مصرف الترجيح حتى يبلغ - على النمط الذي وصفنا - ربع المليون أو نصفه، فيكون كافياً لإحداث النقلة، حسب سعة نفوس البلد، وبالفهم الذي جردنا به الملايين الكثيرة من أهميتها وإرهاب رقمها الظاهري.

ما أبخس الثمن لمن ملك مصرفاً !!

ثم نضوجان لازمان: نضوج هؤلاء الألف، ونضوج الظرف .  
يقال : لم تهتز أجواء بنبضات كما اهتزت أجواء فرنسا بترددات برقيات اللاسلكى بين رجال المقاومة الفرنسية للنازية قبيل إنزال نورماندى .

وأذن الألف الجلى، وهمسهم الخفى: سببعت الحياة فى الحياة .  
ومن النقاط التى هى فوق أحرف نظريتنا: أن لا يطيش الدعاة إذا رأوا فرصة وفراغاً فى بلدهم يمكنهم أن يملأوه وهم بعد ضعاف لم يقو عودهم ولم تكتمل تربيتهم ولا تقلب لهم فى المراحل، وإنما عليهم أن يدركوا أنهم يعاكسون تربية جاهلية علمانية ممتدة عميقة الجذور كثيرة الرجال، قد سخرت العلوم والآداب والفنون، من باب، ثم أن يدركوا من باب آخر أنهم فى محاولة بناء حضارى شامل، ولذلك لا يغنى الاستعجال، ولا رد الفعل المتطرف والمكفر والمتكلف لمعنى الجهاد، وإنما هو الطريق العلمى الجارى مع شمولية العلم، والتوزع التخصصى المتعمق والتربية الذوقية التى ترتفع بالأحاسيس إلى أوج الأرهاف وتنكر الإرهاب .  
ويوم بدر خرج الثلاثة الكفار من قريش يطلبون المبارزة، فأخرج لهم النبى صلى الله عليهم وسلم ثلاثة من الأنصار، فقالوا: والله لا نطعن فى أحسابهم ولا أنسابهم، ولكن أخرج لنا أكفأنا من قريش فأخرج لهم علياً وحزمة وأبا سفيان بن الحارث، فقتلوهم.  
وكذلك الناس دوماً: تحب المكافأة حتى إذ هم يقتلون، والقرشية اليوم تتمثل فى الصروح العلمية، والمجامع الأدبية، والمعارض الفنية، والمتاحف الأثرية، والمؤسسات الصحفية، والمعاهد السياسية، والدور الوثائقية، والشركات الصناعية، والقاعات المصرفية، وعلى دعاة الإسلام اليوم أن ينطلقوا منها للمبارزة.

## التقعيد الجامع

هى نظرية الفرسان إذن، كما كان الأمر فى العصور الوسطى يعتمد عليهم، وكان لكل ملك أو أمير قلة من الفرسان الذين يغنون عن جيش كبير، لجودة معادتهم وأخلاقيتهم وتدريبهم. بل يولد وجودهم رعباً فى نفوس العدو من مسيرة أيام .  
كان الفارس ينتقى من بين أشجع الجند وأذكاهم وأقواهم جسماً، ويغذى بأجود أنواع الطعام، ويلبس الدرع السابغ. وشاع التواصى بينهم بضرورة المروءة والتعامل النبيل. فلا يعتدون على عرض ولا يظلمون فقيراً ولا يكذبون، ويلبون نداء النجدة، وغير ذلك مما أخذوه من أخلاق جند صلاح الدين الأيوبي.  
فالأمير الذى كان ينجح فى تدريب وتربية وتجهيز ثلاثمائة فارس يصبح غالباً مرهوب الجانب، والمدينة التى كان يتواجد فيها عشرة فرسان تكون آمنة مطمئنة لا يتظالم أهلها، للهيبة التى لثلة الفرسان رغم قلتها، إذ أن أحدهم يكون أمة وحده، ويحيطونه بالحديد ليحمى الكتلة الأخلاقية التى بين صفائحه.  
ولو وجدت فرقة الفرسان الدعاة اليوم فى كل قطر لتعادت بهم أطراف الأرض ولرجح أمر الإسلام، ولهدأت نفوس مضطربة، وانقطع الظلم .

الدعوة قوية بفرسانها، والتربية القيادية هى التى تجعلهم فرساناً.  
لكن: أمن ذلك لا يضم صف الدعوة إلا الفرسان؟  
كلا، إذا ما أدركنا فى البداية أن فلاناً يصلح أن يكون فارساً؟  
بل نجمع العشرين ألفاً من أجل اكتشاف الألف، وما هى منازل شرف فخرية نهديها لهم، وإنما هو نشوء طبيعى من خلال المعاناة، وتراجع الأساليب العشوائية لصالح العصامية وإثبات القدرة الذاتية، ودور الجماعة يكون فى أنها إذا رأت النجابة فى صاعد فإن عليها أن ترعاها وتزود الفارس برمح ودرع وسيف ليستوى على ظهر جواده كالمك على سريره.  
ولكن مع كل فارس أتباع، يساعده فى لبس الدرع ونزعه وإعداد الطعام وحراسته حين ينام، وجمهور الدعاة الألوفا أتباع لفرسان الدعوة، ونعم الشرف ذلك لهم ما داموا على سنن التعاون الإيمانى.  
فالتابع ضرورة من ضرورات الدعوة أيضاً، وكل ميسر لما خلق له. وكانت الحياة الإسلامية زمن النبى صلى الله عليه وسلم تعتمد على طبقات من الأتباع مثلما تعتمد على وزراء النبى صلى الله عليه وسلم وبقية العشرة المبشرة وقادة السرايا وفقهاء الصحابة .  
فى صحيح البخارى عن سهل بن سعد قال : (بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى امرأة : مرى غلامك النجار يعمل لى أعوداً أجلس عليهم). ( ) .

وفى الصحيح أيضاً ( أن رجلاً أسود أو امرأة سوداء كان يقيم المسجد، فمات، فسأل النبي صلى الله عليه وسلم عنه فقالوا : مات . قال: أفلا كنتم أدنتموني به؟ دلوني على قبره، أو قال : قبرها، فأتى قبرها فصلى عليها.(2)

فالسوداء الضعيفة جزء من الحياة الإسلامية، وصانع المنبر جزء، فى ألوف كان بهم قوام الحياة، وهى ظاهرة تطرد فى كل جيل وبلد ومدينة، ونحن نريد الفرسان، وبين يدي كل فارس مجموعة تسعى بين يديه وتمهد له، كالطيار الذى تخدمه مجموعة أرضية تضع له الوقود وتحشو له القنابل وتفحص المحركات وتجس له مقادير الضغط والحرارة واتجاه الرياح، فيأتى امتطاؤه لصهوة طائرته سهلاً ومفيداً، فصانع الحياة ننتدب له من بينا سكرتيراً وطباعاً وحارساً ومتسوقاً، فإن لم تكن فارساً أيها الأخ فكن تابعاً وفيماً

وصانع الحياة فى الوصف الآخر هو : مؤسسة، ليس فقط بمعنى أنه يقوم بدور كبير يشبه أدوار المؤسسات، وهذا وصف صحيح، وإنما بمعنى قدرته على توظيف طاقات أخرى معه أيضاً، فكثرة من الدعاة أصحاب القابليات الضعيفة والمتوسطة لا يستطيعون شق طريقهم الدعوى بأنفسهم، ويريدون من يأخذ بأيديهم ويقطع حيرتهم وتلفتهم، ويبقون كالغرباء فى مدينتهم، من أثر فطرة فطروا عليها وحياء وخوف من مسؤولية تحمل القرار، وحب للظل، وضمور عندهم فى جانب الابتكار، فيأتى صانع الحياة ويجعلهم من حوله حلقة دائمة النفير، ويستخرج من طاقاتها المكنونة ما لم تكن هى نفسها تعلم امتلاكها له، فيحدث بذلك زخم دعوى قوى يترك آثاره، وتقطع نفوس الأتباع عن الوسوسة والحسد، فما تعود ثم فتنة أو لغط، وإنما يكون الصانع وأتباعه كتلة عاطفية فكرية مادية ثقيلة الوزن، تفعل الأفاعيل وتأتى بالأعاجيب.

ومن هنا فإن تطبيق نظرية صناعة الحياة يعتبر من أقوى وأنجع الحلول لظاهرة الفتور فى المحيط الدعوى.

### هى خصائص النفس منذ آلاف السنين

وكل هذا إنما هو من فروع (الظاهرة التربوية) و (المسألة التربوية) التى سبق لى أن شرحتها فى مجلة المجتمع أواسط سنة 1972، وخلاصة مفادها: قابلية النفس الإنسانية على التأثر بالمسموع والمنظور، وهو اكتشاف اكتشفه الإنسان مع بداية عصر الحضارات، مما جعل أهل التأثير فى محاولات دائمة مستمرة لتجويد كلامهم وتكلف إبداء مناظر ذات مدلول خاص يلتقى مع العقيدة التى يروجون لها أو الفكر الذى يشيعونه، فصارت البلاغة آلة من آلات التربية، لقابليتها على إدخال معنى معين فى روع السامع أو القارئ ما كان ليعتقده لو أنه قيل بركاكة. وكذا صار الشعر من آلات التربية، لمبناه الجمالى الملتقى مع الحاسة الجمالية فى النفس الإنسانية .

وأدت الموسيقى الأغراض نفسها، والرسم، والنحت، والمناظر التمثيلية المؤداة فى المسارح، وغير ذلك، وما زالت هذه المؤثرات اليوم فى أمريكا وأوروبا وعموم العالم هى هى كما كانت زمن الاغريق والرومان، ولم يتغير سوى نطاق التفنن، بسبب المخترعات الحديثة وتسهيلات الرقى المدنى، وقد منعنا الشرع من استخدام النحت والرسم الذى فيه مضاهاة، ولكن حقيقة تأثيرهما فى النفوس باقية، وقد رأيت فى المتحف البريطانى، فى قاعة الفن الحديث منه، تمثالاً لرجل عجوز معذب تنقله الفيود وقد منع عنه الماء، فجاءت امرأة من محارمه، كأنها وقد منعوها أن تسعفه بالماء، فأخرجت ثديها يرضع ويرتوى بلهف وقد كاد يموت، فأخذتني قشعيرة لما رايت ذلك وفار دمي على الظلمة، وأحسب أن تأثير هذا التمثال فى زائرى التحف يعدل تأثير عشرة دواوين لفحول الشعراء فى تقبيح الظلم.

وكل صناع الحياة فى جمهرتنا الدعوية يستطيعون الانطلاق من حقائق الظاهرة التربوية لتكثيف وتقوية آثار بصماتهم الخاصة فى الحياة العامة، فابلاغة وسيلة واعظنا وشاعرنا، والعدسة بين يدي مصرونا بدل الرسم المحرم أو المكروه شرعاً، يغرس بالتقاطات عدسته كراهة منظر سوء تعافه النفوس اللابثة مع فطرتها، ويحرك مشاعر الاقتداء بمنظر آخر من التضحية والبذل والفداء .

### لمعة ..... ليس لها مثال

الشرط اللازم لصانع الحياة فى كل ذلك هو أن يبديع ويكون مجتهداً ويأتى بالنادر الطريف، ليس بالذى ينسج على منوال الآخرين ويقلد فيمله السامع والناظر، ويزهدان بما يعرض .

والإبداع وصف يستعصى على الوصف، وإنما يوفق له الذكى ويميزه الخبير .

بعضه تجديد يأتى على غير مثال وسابقة .

وبعضه تمرد على المألوفات والمسلّمات المتوهمة إذا أدرك تخلفها واضطراب منطقتها .

وبعضه اشتقاق وقياس، يولد ولا يغرب، ويذهب ولا يبعد .  
وبعضه انكفاء على أصل مهجور كان منه المنطق في البداية، فنسى الناس العرق الذى يربطهم به وينسبهم إليه، فيعود بهم المبدع إليه في النهاية .

ثم بعضه اقتحام فى موطن الانخزال، ووفاء فى ساعة النكوص، وفصاحة إذا رطنت الألسن، وكرم إذا اختبأت الأيدي، وسموا إذا نطق الاغراء، ونبل عندما يسفل التعامل، وستر إذا استرسلت الفضائح، وفناء إذا قدست الذات.

والاجتهاد : انشتال من وهدة، وتوجيه فى ساحة حيرة، وتخصيص من بعد تعميم، وتعميم لبادرة، وأذان فى نيام، وسلوة بين أحزان، وتحقيق عند الجراف، وإتقال لكفة الميزان إذا هبطت صاعدة، وانتباه لتبكيك النفس إذا استبدت منحدره فى الهاوية وهى تتوهم الارتقاء .

إقتحم ... أنت لها

وفى مثل هذا المنعطف يجفل الراهب فيدعى عجزاً ويقول: تريدون منى أن أكون فقيهاً وليس جدى مالكاً ولا الشافعى! وتطلبون أن أتغنى بالشعر وما ولدنى المتنبي ولا البحترى! وتتمنون أن ألوك الفلسفة وليس جارى سقراط!

فمن أين يتأتى لى الإبداع وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم : الناس كابل مائة لا تكاد تجد فيها راحلة؟ فنقول : نعم، نريدك ونطلب ونتمنى نظن ونجزم، ولا وجه لاستضعافك نفسك واستصغارك صحبتك، وقد أعطاك الله ذكاء ونسباً، فلم لا تتعلم السهر وتطلب الفصاحة؟

والجزم مستمد من براهين ثلاثة لدينا :

**(الأول) :** أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يقل : الدعاة كابل مائة، وإنما قال : الناس كابل مائة، ونحن لسنا الناس، بل نحن الرواحل كلنا، ونحن صفوة الناس ونخبة المجتمع وزبدة البشر وخلاصة المسلمين، فكيف نساوى أنفسنا بالعامه واللاهين؟ .

**(الثانى) :** أن الحريات تربي وتطلق الطاقات، والأموال تساعد وتتيح ما لا يتاح للفقير، والتيسيرات المدنية والمخترعات تضاعف النتائج، وكثرة من الدعاة يعيشون ظروف الحرية اليوم، ومن لا زال مظلوماً : له أن يهاجر ليتربى ويعود، وأموال الدعوة تخدم الصاعد فى مدارج الصناعة، ثم الطائرات نقله، والفيديو ينضجه.

**(الثالث) :** أن نظرية صناعة الحياة لا تريد كل الدعاة فلاسفة أو شعراء، وإنما هى مائة صناعة ومهنة وفن وتخصص، وما نظن أحداً يقف بهذه الأبواب المائة يطررها ثم لا يفتح له باب يلج منه إلى دار الاجتهاد وركن الإبداع، ونظريتنا برينة من إرهاب أحد وإعناته وإحراجه، بل دون الذكى الاختيار الحر، يرسم لنفسه الدور الذى يشاء إذا شاء الله، وكل الطرق تؤدى إلى القاهرة وصنعاء، ويعقوب ما زال يوصى أبناءه: يا بنى ادخلوا من أبواب متفرقة .

هكذا أيها الأخوة: لكنا رواحل، فى ميدان حر، ومداخلنا شتى. فقط يردا لنا أن نثق بأنفسنا .

حركة التبليغ أجادت غرس الثقة فى دعائها، وبخطبة واحدة يتعلمونها يجوبون الآفاق ويواجهون المجتمع، وآخرون يأمرؤن إخوانهم بضم الرأس ويقولون لفتى الصحوة: أنت فى خندق، احترسن، واتقن الاختباء!!  
من قال ذلك ؟

كلا، بل نحن فى عرضة واسعة وليس الخندق الضيق، ومعنا كل الخطب المتنوعة الفصيحة، ومعنا ثوابت الامام وحماسات الظلال وواقعيات مشهور وواضحات يكن وتفريعات القرضاوى وعقلانيات المودودى وتسبيحات النورسى، والذين ظلموا الدعوة دهرأ فى يأس اليوم .

فمن لم يستطع كل هذا، ولم يتقن فناً يكون به من صناع الحياة، فليتقن فناً دعواً مؤكداً: أن يكون من صناعالحياة بشموخه وضربه المثل العالى، كذاك الذى انقطع به حبل المشنقة لحظة إعدامه بالباطل فقال : كل جاهليتكم رديئة .... حتى حبالكم رديئة !  
وليس وراء صنعة الشموخ حبة خردل من معنى دعوى .

**نحن الأمل .....**

ثم أن لنا أن نثق بإخواننا ، وأن نترك التبديع واتهام النيات وموعظة احتقار النفس وهواجس تهمة الرياء .  
لقد أتلفت طريقة الحارث المحاسبى فى الوسوسة الكثير من الدعاة، وعادوا يتخوفون من أنفسهم، ويظنون كظنه فى كتابه (الرعاية) أن لا عمل ينجو من الرياء والتكبر .

لسنا ندعو إلى تسهيل الرياء والتكبر، بل لنا فصاحة فى هذه المواظ بحمد الله، ولا فخر، ولكننا ندعو إلى الرفق بالدعاة .

الداعية أثقل وزناً من قبيلة بجدودها. والناس اليوم تحكمهم العداوات، ويتصرفون كأنهم الذناب، بعضهم يأكل بعضاً مع أول غمضة عين، ونحن اطهار أهل عفة، تسودنا الطمأنينة فى المجتمع اللاهث، والأيام تعظ الداعية إن بقيت فيه بقية، وهو الله الذى يتولى حفظ الجماعة من ذى سوء يخادعها، ليست حراستنا ولا أنظمتنا، ولنتذكر دائماً أن الجماعة أقوى من الفرد مهما تفاسح والتاف وتمسكن، تغلبه فى النهاية بإذن الله إذا غالبها، وعلينا أن لا نخاف من فرد أبداً ، ولا من جماعة جمعها فرد من منطلقات التوتر والمنافسة .

لذلك يحسن أن ندع الدعاة يجربون صناعة الحياة، والموفق من سيوفقه الله وتثبت قدمه يواخى ويبطن النصح ويبذل الخير، والمتناول سيشفه السقف فيتأدب .

## الهيمنة المحورية العابرة .

لكن حسن النتائج منوط بشروط ثلاثة :

**(الأول) :** وجود غرفة سيطرة تدير وتنسق حركة صناعة الحياة، وترسم الأدوار، وتذكر بعضهم أن ينطبق بمعنى، وتطلب تكثيف القول فى موسم دون موسم ، ومكان دون مكان، وتوزع اليمينه والميسرة والقلب ثم توجه الجميع من بعد للأذان بفكر الدعوة وفهمها وقرارها فى وقت واحد، ليكون زخم التأثير بالغاً مدها، فتكون حزمة الأذان الدعوى مثل حزمة أشعة الليزر حين تتركز . وكما يقف سبعة من المؤذنين فى صحن المسجد الأموى بدمشق يؤذنون بنعمة واحدة: يرفع صناع الحياة صوت الإسلام ، ويصطف الطبيب جنب التاجر، جنب الفلكى، جنب الخطاط، جنب الفيلسوف، جنب الشاعر، ليؤذنوا ويقولوا معاً : تخساً الجاهلية، تخساً العلمانية، بالإسلام حل عقدة الأمة.

يومها ستتزلزل الجبال ..... !

**(الثانى) :** ارتباط الجميع بقضية محورية حية، وقضية فلسطين اليوم قضية الإسلام والمسلمين، وينبغى أن يكون لكل صانع من صناع الحياة خيط يربطه بسياسة (حماس) وقولها وجهادها. وكذلك قضية الجهاد الأفغانى، أو القضايا الموسمية، كقضايا الدستور الإسلامى فى بعض البلاد، والميثاق السياسى والاجتماعى، والحريات، والمنهج التربوى.

**(الثالث) :** تطبيق نظرية جسر العبور بمهارة، من خلال الاحصاء واستعمال الكمبيوتر، فمن لم نستطع الوصول له مباشرة: نصل إليه بواسطة أبيه أو ابنه أو جاره أو صديقه أو رئيسه الإدارى أو سكرتيره .

كل الطرق تؤدى إلى مركز الحياة

صرنا نفهم أنه لكى نعيش مع الناس فإن عليهم أن يطيعونا. وهذا الطلب للطاعة ولد عندنا التتوقع والانكفاء على النفس والعيش فى المجتمع الخاس .

وما هكذا يكون التعامل الدعوى، وهذا حلم بعيد نعيشه، ولن نحصل على طاعة جميع الناس ولو بعد مئات السنين، ولكن نطلب الطاعة من المنتمين للدعوة، وهناك فى كل مجتمع من لابد أن ينتمى، يتكفل الله بذلك، وأما البلقية فيكفينا منهم الولاء لياتونا أفواجاً ويكون منهم الدوران فى أفلاكنا، إذ أننا نستخدم ظاهرة حيوية ما نحن لها بمتكلفين .

إن طلب طاعة جميع الناس باطل اخترعته أوهامنا، ولكنه الولاء، والذى تكفل بدوران الالكترون حول البروتون، والمريخ حول الشمس، سبحانه، هو الذى يتكفل بدوران الأخيار حول النواة الدعوية .

ومن جد : وجد ، إما أنا أو الفاسق، فإن الفاسق يصنع الحياة أيضاً على هذه الطريقة، وإذا لم يكن كتف المسلم قوياً: ضربه كتف آخر فترنج .

هذه سنة الحياة .

الحياة يبنيها صناع، كل منهم يؤثر فى جانب منها .

فأشاعر مؤسسة ، ويستعمل جمال اللفظ وسمو المعنى.

والرسام مؤسسة، لكن مادته الألوان ومجاله المنظر .

والمفكر يتكفل عن الآخرين بحل إشكال أو معضلة، من مشاكل الحياة العادية ابتداء، كالمشاكل الاجتماعية والأخلاقية، إلى المشاكل ذات البعد العلمى أو المدنى انتهاءً، كالتردى فى الإنتاج، والهزيمة العسكرية، وضعف البناء الحضارى، ولو تمسح حقول تفكير المفكرين لنجدها تقرب من ألف حقل، يسألون فيها أنفسهم ويجيبون. وهم إذ يفكرون لا يفكرون فى عزلة ومن وراء جدران يحجبهم عن المجتمع والمشاكل، وإنما من موطن المخالطة، ويصدعون بما يتوصلون له كتابة ومحاضرة، بل يأتى أحدهم من ألوف الأميال

ليحاضر بآرائه ويحاول الإقناع.

والله تعالى هو الذى قدر الأشياء التى صارت تاريخاً، ولكن من الذى يكون سبباً فى رؤية البشر لها اليوم؟ السبب لا يأتى غريباً عن المنطق البشرى. فلهذا المؤرخ ومعها آثارى نبشاً بأرض الأهرام حتى أخرجنا مومياء فرعون، وآخر نبش واكتشف حجر رشيد وترجم لغته الهيروغليفية وعرف الذى كان، وآخر بنى المتحف الذى يعرض به، وآخر يرحل ليرى ما هنالك فتتصاعد تحدياته وحماسه فيخطب لك خطبة (نعم هكذا كان يا أخى) فيكون الخمسة من صناع الحياة . إن قيادتنا للحياة هى القيادة، وليست مراكز المسؤولية التى تضعنا فيها التوزعات الدعوية ويمنحنا إياها أمير الدعوة . صانع الحياة يدوس الألقاب برجله ويحطمها، ويمضى يصنع الحياة من موطن التخصص والفن والإبداع . هو ملئ النفس ولا يحتاج أحداً لملئها .

الذى يطالب بالمسؤوليات والألقاب الدعوية والنقابية والامارة على المؤمنين إنما هو العاجز الذى لا يحسن علماً ولا تخصصاً ولا فناً، فيطلب التعويض بإنعام الألقاب عليه، ويعارك، ويختلف، ويناضل دون مكتسباته السابقة، ويملا الكواليس همساً وسعياً. وأما المقتردر فيتقدم تقدم الوثائق، فإن علمت إمارة الدعوة فضله ودوره فكلفته: قبل الأمانة وأداها وشكر الأمير إذ دله على خير وإن لم يلتفت الأمير إلى فضله ونسيه: لم يلتفت هو بدروه، ولم يكن منه تلميح وتعريض أو تصريح، ومضى يصنع الحياة منهجه الألهى، أبى، بمشيته بياهى.

ولو مشينا فى مدينة من حواضر الاسلام الكبرى التى كان لها دور وشأن ورأينا مدارسها وخاناتها ومساجدها العظيمة وأسواقها وأسوارها وغير ذلك مما فيه إظهار هيبة افغسلام وعظمتها ومعطياتها الحضارية ونفخته الحماسية فى الأرواح لأدركنا أن نخبة المهندسين الذين بنوا تلك المعالم المنيفة عبر الأجيال هم مثل أى فقيه أو شاعر تفخر به الأمة، أو حاكم عادل يتسابق الوعاظ فى ذكر مناقبه .

المهندس يضيف من اللمسات الجمالية إلى الحياة الإسلامية ما يعدل أثر فقيهه، ورب فلكى مسلم يكون له من الأثر الإيمانى عند تفهيمه الناس حقائق الفلك وأرقامه وسر السماء ما يعدل مائة واعظ. وليس أقل منهما الأديب الذى يتكلم بالوصف المحض. فيصف جمال الوردية وأمواج البحر ونور الشمس وحركة السحاب وفطرة الحيوان وألوان الطير وأمثال ذلك من المعانى الابتدائية البسيطة، فإن مثل هذا الأدب يزيح ما يعدله حجماً من أدب المجون والتخذيل، ويقتررب بالسامع مرحلة نحو التوحيد، ولست أفهم أن الشاعر المسلم يجب أن يذكر الجهاد ويذم الطواغيت.

كذلك يبرز رجال من الدعاة يقودون فقراء المسلمين وعامتهم بالأخلاق التى يحملونها، ويجدد أحدهم صورة الفارس النبيل العفيف الشجاع الذى لا يكذب ولا يعتدى على عرض، ودأبه نصر المظلوم وإجابة المستغيث اللهفان. وفى المسلمين اليوم إحباط وتراجع وانسحابية ونفسية انهزامية لا يعالجها إلا وجود مثل هؤلاء القدوات الذين يتركون الخنادق والمعتزلات وينزلون إلى مخالطة الناس. الناس تتجمع حول نقطة مركزية وتأمل أن يقودها أحد إلى شىء فيه عزها وتسليتها وتعويضها، وهى فى فراغ أوجدته النكسات وحاجة ولدتها النكبات وتطلب من يملأ عليها فراغها ويسد حاجتها، لتسلمه قلوبها .

لقد منحنا الله الحواس لنستخدمها لا لنعطلها، وقد أن لنا أن ندق على صدورنا ونقول: نحن نصلح الحياة.

ولئن حصل تجميع بالأمس فيه تساهل وتكاثر فإن تجميع اليوم والغد يجب أن يكون بالموازين الانتقائية التى تجلب من يصنع الحياة، ولسنا نهمل الصنف الآخر، ولكننا لا نرهق كاهل اجماعة باحتوائهم داخل صفها إذا كانوا عناصر غير منتجة، بل نربطهم بالولاء ولا حاجة لأن نطلب منهم الطاعة .

والناس يحتاجوننا، كمن وقع فى حفرة ويستنجد بالمارة، وهو مثل صحيح ضربه الغزالي فى الإحياء، ولا بد أن نمد أيدينا لهم لنخرجهم من ضلالهم إلى الهداية، ومن فوضويتهم إلى السكينة، ومن تحاسدهم إلى المودة.

نعم، هناك من يتقعر ويتكلف ويطلب المخاطبات الدبلوماسية وفق القواعد النحوية رغم سوء منقلبه، ولا يريد أن تخرجه منه إلا بخطبة تتقعر له فيها وتتكلف، ولكنهم قلة، كذاك النحوى الذى وقع فى كنيف، فأحاط به الناس يمدون أيديهم له ويقولون: يدك ، يدك، وهو لا يكثرث، حتى مر به وبهم مشفق عرف سره فقال: خلوا بينى وبينه، ثم قال له : ناولنى الشريف لأخرجك من هذا الكنيف فمد يده عند ذاك وأخرجه .

والداعية قد يتقعر ويجادل ويتبع قواعد الدبلوماسية مع مثل هذا، شفقة عليه ورحمة به، وقد يتركه إلى مصيره تأديباً له، ويأبى أن تذهب نفسه حسرات عليه .....

## الذين آمنوا وعملوا الصالحات

### هل هذه النظرية في صناعة الحياة نظرية جديدة ؟

قد يظن ذلك الذى يجيب باستعجال، ولكن الذى عنده علم من التاريخ ينفى ذلك أبداً، ويبرهن أن الحضارة الإسلامية صنعها صناع كهؤلاء، وانغمسوا فى علومهم وفنونهم وآدابهم انغماساً ترك آثارهم تنطق مئات السنين، وجعل المسلمين يرفلون بما صنعوا جيلاً بعد جيل .

لقد تفنن جيل المسلمين الأول فى المسموع، فأتوا بجميل الشعر والنثر، والدواوين شاهدة، وألوف كتب الأدب. كما تفننوا فى المنظرو بهدف علانية، من أجل الاقتداء، وكانت المبارزة بين الصفيين، تحصيلاً لتأجج الحماسة. بل مثلوا التمثيليات الصامتة الهادفة، كذاك الذى بنى لنفسه وفرسه حصناً صغيراً بباب الكوفة وربط فيه، وكانت الفتوحات فى زمنه قد بلغت وراء بخارى وسمرقند ، حتى ليظنه الظان مرانياً ، ولكنه كان يتعمد ذلك ليشاهده أهل الكوفة ومن يدخلها فيتذكروا معنى الجهاد . وكان عمل آل زنى ثم صلاح الدين الأيوبي ضمن سياق الإبداع الذى نتحدث عنه. ثم عمل الظاهر بيبرس وقطرز وصاحبهما الأمير البطل حسام الدين لاشين، الذى كان فى غاية الكرم والشجاعة، حتى أنه تعرض بإلف فارس معه لانتى عشر ألف فارس من النتر فى غزوه الشام، فأبادهم عن آخرهم.

ثم أعمال السلطان محمد الفاتح فى فتح القسطنطينية، ومن سبقه وتلاه من سلاطين آل عثمان: كانت أعمالاً إبداعية ضاربة فى عمق الإبداع، وبأبى وأمى نغير مراد الرابع بجلد النمر من فوره لاستخلاص بغداد من الصفوى المفسد حين سمع احتلاله لها. والإبداع فى مجال العلم كذلك، وليس أوله إبداع الشافعى فى تدوين أصول الفقه عبر (الرسالة)، وإبداع البخارى فى تجريد الحديث الصحيح عن الضعيف، وإبداع السرخسى فى جمع شوارد أقوال أبى حنيفة وأصحابه، حتى إنى لأظن أنه لم يخرم منها حرفاً، وإبداع علماء قواعد الفقه فى رؤية الأشباه والنظائر، وإبداع القرافى فى الانتباه للفروق، وإبداع ابن تيمية فى التجديد والاحاطة والمقارنة، حتى تركها مدرسة مسلسلة مازالت دانية التأثير حتى هذا اليوم .

ومثل ذلك إبداع فؤاد سزكين الآن فى مجال تاريخ العلوم الإسلامية والكشف عن إبداع أجيال المسلمين فى أبواب الفلك والكيمياء والفيزياء والرياضيات والطب والصيدلة، حتى غدت المخطوطات التى عرف بها وروج لها شمساً ساطعة شاهدة لفضل الحضارة الإسلامية على الإنسانية .

وقصص السلف فى صناعة الحياة كثيرة، ولكن يليق أن نتجاوز رجال الصدر الأول والأوسط، لما أظنه من وضوح أدوارهم، وأن نأتى إلى نماذج من رجال العصر القريب، نتعرف على إبداعهم .

### السنان اللامع

منهم الفنان المبدع، شيخ المهندسين فى العصر العثمانى : سنان باشا فقد كان رحمه الله من صناع الجمال، وتمكن من طباعة التفاعل فى نفوس المسلمين مع المعايير الجمالية .

وأستحسن أن نرافق مؤلف كتاب (فنون الترك وعمائرهم) فى استعراضه لدور سنان، لنرى كيف (ظفر عهد السلطان العظيم سليمان القانونى – أزهى عصور الامبراطورية العثمانية – بأحد قمم العالم وعباقرته، وهو المهندس سنان، الذى ولد عام 1489 فى قرية اغرناس قرب قيصرية... وبعد انتهاء مدة تعليمه فى حملات سليم الأول على بلاد فارس والشام والعراق ومصر، وزار البلقان والمجر وجنوب النمسا، .. وكان اختياره كبيراً للمهندسين حين بلغ الخمسين .. وفى تلك اللحظة كان سنان قد شيد 364 بناء على أراضى الامبراطورية وفى وقت قصير .. وكان يفحص بعناية المنشآت فى البلاد التى يزورها، ويمزج بين الملاحظات والأفكار المختلفة التى يلتقطها من هنا وهناك وبين التقاليد المعمارية التركية، وكان سنان أستاذاً كبيراً فى بناء القباب وفى تنسيق المساحات، وعبقرياً باقتدار ونجاح فى تصميم القباب المركزية التى كانت الأمل والمثل الأعلى عند معمارى عصر النهضة فى إيطاليا).

(قام سنان سفى أول أعماله باستكشاف ما يمكن أن يعطيه الفراغ المتاح، أخذاً فى الاعتبار استمرارية التقاليد المعمارية العثمانية التى ظهرت فى أزيق وبورسة وأدرنة. ففى عام 1537 بنى مجمع الخسروية فى حلب لخسر وباشا والى دمشق، وهو بناء جدير بكل تقدير، باعتبار طليعة أعماله ... وقد سمح للمسجد أن يبرز بوضوح وأن يكون مع ما حوله وحدة متكاملة . والحقيقة أن هذا المجمع الصغير الحجم قد سابر بنجاح الموقع الذى أقيم عليه.

وتظهر أهم مراحل عبقرية سنان المعمارية من خلال ثلاثة آثار عظيمة هي : مسجد شهزاده، ومسجد السليمانية، باستانبول والسليمية بأدرنة.

بدأ بالعمل بمسجد شهزاده عام 1544.. ونرى فيه المحاولة الأولى لسنان في معالجة مشكلة نصف القبة، وكيف تجاوز بمحاولته مشاكل قباب أيا صوفيا وبا يزيد عندما ابتكر النموذج المثالي للمبنى ذي القبة المركزية وانصاف القباب الأربعة الدائرة حولها، وسنان بهذا العمل يكون قد حقق أحلام مهندسي عصر النهضة.. وكان بناء هذا المسجد بأمر من سليمان القانوني تخليداً لذكرى ولده الأكبر وأثيره شهزاده محمد ) .

(ومن التجديدات التي ظهرت عند وضع تصميم أنصاف القباب – أى فى مسجد شهزاده الذى أمام بدلية استانبول – أنها أقل قليلاً من نصف قبة كاملة، وأن الدعائم أكثر رقة بفضل التصبيعات والتضليعات التي عملت بها... أما الشدروان وبوائك الصحن المحيطة به وقبابها الست عشرة وأعمدة البوائك الأثنى عشر، فقد كونت توليفة لا تقل فى تناسقها وانسجامها عن تناسق وانسجام المسجد، كما أنها تندمج معه عضويًا وتكون وحدة لها منظور معمارى قوى التأثير. وتحويل الممرات هنا من داخل المسجد إلى خارجه أضفى على الداخل مزيداً من الترابط والروحانية، ولطف من جمود الكتلة البنائية من الخارج ) .

(وبدأ العمل فى مسجد سليمان العظيم ومجمعة واستمر سبع سنوات انتهت بعام 1557، وكان سنان فى هذه السنة قد تجاوز الستين من عمره، وفيها أيضاً يتحول سنان للمرة الأولى إلى فكرة تخطيط المسجد ذي نصفى القبة .. ويجتهد سنان فى الوصول إلى أنجح النسب لإقامة المسجد الجديد من خلال دراسة متأنية ودقيقة لكل من كنيسة أيا صوفيا ومسجد بايزيد معاً، وقد اشتمل مجمع سليمان القانوني على أكبر وأول جامعة منذ زمن محمد الفاتح، كما اشتمل على 18 مبنى.. ونسق كل هذا بأسلوب جديد كل الجدة وبمفهوم واع لنظريات بناء المدن، جوهرة الاستفادة المثلى من مدرجات الربوة التي تشرف على القرن الذهبى... وجعل قطر القبة الرئيسية 26.5 متراً وارتفاعها 53 متراً، وهى أكثر قباب استانبول ارتفاعاً بعد أيا صوفيا ... وإذا كان الداخل إلى المسجد يمتلئ بطمأنينة روحية وإحساس باللانهاية فما ذلك إلا نتيجة لارتفاع القبة الشاهق ... ) .

( وبعد كل التجارب العديدة فى منشآت صغيرة نسبياً: أبدع المهندس سنان وهو فى الثمانين من عمره مسجد السليمية فى أدرنة، واشتمل هذا المسجد على كل الابتكارات والتجديدات التي استحدثها سنان، بالإضافة إلى مستحدثات العمارة التركية جملة. وقد وصف مسجد السليمية بأدرنة بأنه يمثل رائعته المعمارية، وقد استغرق بناؤه خمس سنوات من 1569 إلى 1574، ويمثل المسجد الرمز الحى لمدينة أدرنة ولإمبراطورية آل عثمان كلها، وكان إنشاؤه بأمر من السلطان سليم الثانى، ويظهر هذا الأثر متجلياً من بعيد بقبته الكبيرة ذات القطر البالغ 31.5 متراً، أى أكبر من قطر قبة أيا صوفيا... ويمكن اعتبارها قمة التطور فى بناء القباب فى العالم بأسره). (وتغطى المسجد كله قبة واحدة تحيط بها امتدادات من كل جانب، وهذه الرحابة الواضحة تملأ نفس الداخل إلى المسجد بإحساس مريح ويكاد يشعر بقوة سحرية تحمله إلى عالم بعيد .

وتستلقت النظر من بعيد مأذن المسجد الأربع التي تكون مع القبة وحدة واحدة يسودها والتوافق، ويتدرج المبنى فى ارتفاعه، أربع درجات، تستقر القبة فى نهايتها فى اطمئنان وتناسق، ويغطى على الواجهات نضج معمارى وأناقة فى النسب ... ) .  
توفى سنان سنة 996هـ / 1588م ، رحمه الله .

أفما ترى معى أن المصلين عبر أربعمائة سنة فى مساجد السليمية والسليمانية وشهزاده قد اتعظوا بمعانى التناسق والتدرج بمثل ما وعظهم به كلام وعاظها ؟

أو لا ترى أن صلة القربى والأنساب الواحدة تجمع المصرى حسن فتحى والعراقى رفعت الجاردرجى بسنان رحمه الله ؟  
وأشهد أن من أوائل من نبه إلى هذا أخ مثقف صديق لنا، هو الدكتور مهدى صالح السامرائى رحمه الله، الأستاذ المساعد بجامعة بغداد فى تدريس الأدب العربى، وكان من أقراننا، فقد فطن إلى مثل هذه المعانى فى وقت مبكر يوم كنت غير برئ من اليبوسة، وكان يعارضنى، ثم أقررت نظراته، وله فضل السبق رحمه الله .

وأنا أرى اليوم أن من تمام منهجية التربية القيادية فى إعداد صناع الحياة بعد العلم وسماع التجارب هو التجول والسياحة لرؤية روائع العالم الإسلامى، ليزدادوا ذوقاً وحساً جمالياً من مدارج الاجتهاد .

**ثالث ... لكنه تام .... ومعلق ..... لكنه مسيطر**

وسلسلة الخطاطين صنعت الحياة .

وهي من أيام ابن البواب وابن مقلة، مروراً بياقوت المستعصمي، وانتهاء بتلامذة هاشم في بغداد، عبد الغنى وصلاح شيرزاد ونزار الدورى وغيرهم، وتلامذة تحسين الخطوط بالقاهرة، وعصبة نشأت مؤخراً باستانبول.

وعلى ندا الدورى في معهده بالشارقة: (معهد الخط العربى والفن الإسلامى) إذ يلقن الناس معايير الجمال ويغرس في القلوب موازين التناسب: هو أخو المتبتل في محرابه إذا لقتهم آداب الإخبات.

والدكتور القاتونى الفنان عبد الغنى عبد العزيز العانى، تلميذ هاشم الأول، هو بباريس اليوم سفير للحضارة الإسلامية تلقاء الغرب، ومترجم لأذواق الايمان وخلجات قلوب الموحدين، ولست أرى بعداً بعيداً بين قطرة من مداد قصبته وقطرة من دم شهيد في ترك الأثر الحيوى .

و (كان ياقوت الأماسى - من اماسية - خطاطاً تركياً يعمل كاتباً لدى المستعصم - 42 إلى 1258م - آخر خلفاء بنى العباس . وقد استفاد هذا الخطاط من استخدام قلم مقطوعة بميل في كتابة النسخ والثلاث والجلى، وبهذا يكون قد تحرك خطوة في طريق جديد. ولقى خط النسخ على يد ياقوت: الروح التى جعلت منه حقيقة نمطاً كلاسيكياً. وحدث الشيء ذاته لخط الثلث، الذى ظل يكتب بطريقته وأسلوبه دون تغيير يذكر لمئات من السنين، وقد تحول هذا النمط على يد ياقوت إلى نوع من التحليل التشريحي، وأعطاه، من خلال تفاصيله الدقيقة: أنسب الأشكال وأكثرها ظفراً بالقبول. ويعتبر ياقوت هو الذى أرسى القواعد الصلبة لفن الخط عند الأتراك، بترسيخه كل الأصول والصفات المميزة لسته من أنماط الخط العربى المختلفة، وهى التى عرفت فيما بعد باسم: الأقلام الستة ).

( وفى القرن الخامس عشر: مارس الشيخ حمد الله، وهو من أماسيه أيضاً، كتابة الأنماط الستة السابقة، ووضع لها قواعد على أسس محددة تتصل بنسب جسم الإنسان وقواعد تشريحه، وأصبح حمد الله بهذا استاذاً لكل الخطاطين فى جميع أنحاء العالم الإسلامى، وأطلق عليه لقب : قبلة الخطاطين ) .

( وقد مات الشيخ حمد الله عام 1519 .... وكتب الشيخ عدداً من المصاحف ومئات من المخطوطات، وأعطى فن الخط العثمانى عموماً شكله الكلاسيكى، وقدرته على التأثير، واحتفاظه بالحيوية، تلك الصفات التى لازمتها عدة قرون وحتى يومنا هذا ) .

( ثم طور أحمد القره حصارى خط الجلى فى القرن ذاته... ومع أن جانباً من أسلوب القره حصارى مشتق أساساً من ياقوت الأماسى أو ياقوت المستعصمي، إلا أنه يمكن القول فيه أن خطه كان أجمل من خط ياقوت.. وفى عام 1566 توفى القره حصارى ، وكان قد بلغ التسعين ) .

( وفى القرن السابع عشر يبلغ فن الخط العربى آفاقاً جديدة فى مجال إضافاته الفنية، من خلال أعمال حافظ عثمان المولود فى استانبول 1642 .. وطور حافظ خط النسخ وبسطه وأحسن تنسيقه ليكسبه وضوحاً أكثر فى القراءة، وكان نضجه سريعاً فى هذا المجال، وكان متدفقاً، حتى لقد سمي أسلوبه فى الكتابة - وفى النسخ خاصة - بالأخاذ ، كانه شرارة تخطف الأبصار. ومن خلال الخطوات الزاحفة لكل من ياقوت والشيخ حمد الله وحافظ عثمان: تتمثل الفترة الرئيسية لرسوخ خط النسخ والثلث ) .

( وأدخل حافظ عثمان نوعاً من الحرية على فن الخط لم يكن معروفاً من قبل.. ومات حافظ عام 1698 وهو فى السادسة والخمسين.. ولحافظ 25 نسخة من القرآن الكريم .. ونقلت المصاحف التى طبعت وكانت بخطه شهرته إلى سائر أنحاء العالم الإسلامى وحتى بلاد الهند وأندونيسيا).

( وقد أضفت الابتكارات التى أشاعها مصطفى راقم فى خط الجلى كثيراً من الحيوية، فنجد فيه تكوينات مختلفة للحروف، غيرت باستمرار من أوضاعها وملامحها، وبلغ أسلوبه فى هذا النمط غاية الكمال بأقل ما يمكن من الشكل والاعجام والزخرفة، وبهذا يكون قد حرر الحرف من جموده النمطى الذى استمر عليه فى المرحلة الكلاسيكية، وإننا لنلمح فى كل عمل من أعماله ابتكاراً رصيناً للحروف. وكان راقم بالإضافة إلى هذا عبقرية فى عملية الترتيب والتجميع، وهى التكوين المنسجم الذى يضيفه على هيئة الحروف والكلمات والأسطر معاً، وباختياره لمثل تلك التشكيلات ذات التوليفة المتناسقة المنسجمة يكون راقم قد نشر حول الخط نسمة من الجمال والكمال.

إن تشكيل نص من النصوص ليظهر فى مساحة معمارية ليس أمراً سهلاً، وإنما هو من الأمور الصعبة التى تحتاج إلى قدرة وموهبة وإحساس فنى رفيع ) .

( ولما كان راقم خير من يمثل الإدراك العالى للحركة الجمالية فقد أصبح فى نظر الخطاطين أول من يسعون إلى تقليده، وهذا سبب تزايد عدد الفنانين الذين آمنوا بقيادته ) .

ثم ( هناك محمود جلال الدين، الذى يختلف عن راقم، والمتوفى عام 1829. وهناك زوجته وتلميذته أسماء عبرت، التى كانت على درجة من المهارة كزوجها تماماً .

ابتكر محمود جلال الدين أسلوباً مستحدثاً هو الآخر.. وكان لأسلوبه من الحيوية والرسوخ مثلما كان لحافظ عثمان. وإذا كانت كتابات راقم تمثل القوة والحيوية، فإن كتابات محمود جلال الدين توحى بالسكينة والجمال).  
(من مشهورى القرن الثامن عشر أيضاً: محمد أسعد يسارى ، أحد أساتذة التعليق، الذى كانت له إضافات فنية واضحة، والذى أنتج اعمالاً مبتكرة لا نظير لها. ونرى كتابات هذا الخطاط فى كل ركن من أركان استانبول، ومن ذلك لوحاته العديدة فى معظم بيوت أهلها. وترسم الابن والتلميذ يسارى زاده عزت مصطفى خطوات الأب، فارتفع بخط التعليق إلى أعلى مراتبه. واكتفى من جاء بعد ذلك من الخطاطين بهذا الأسلوب، وقنعوا منه بالتقليد، وأصبح خط التعليق هو الأسلوب المختار بين أهل العلم فى استانبول، وكتبت به الأعمال الأدبية وأشعار البلاط وسائر المنظومات).  
ومن شهيرات النساء المبدعات ببغداد أواخر القرن الماضى: الخطاطة صالحة النقشلى رحمها الله، ولها مصحف بخط الثلث يعتبر من روائع الفن، وهو محفوظ بمكتبة مسجد الشيخ عبد القادر الكيلانى.  
و ( يبرز بين الخطاطين الإيرانيين اسما : أبى الفضل الساوجى، ومير عماد. اللذين كان مشهوداً لهما بالإبداع والتفوق .  
كذلك يشار إلى نور الدين محمد اللاهيجى، الخطاط الإيراني الآخر الشهير، الذى كان معروفاً باسم: نورا، ويلقب : خوشنويس، أى الحسن الخط، والذى كان من تلامذة ميرعماد الممتازين. وقد بقى قسم من كتاب جوامع الحكايات للعوفى بخط نورا، ذكرى منه ( ).  
ورثهم بإيران مشكين قلم، وغيره .  
بو قد سلم الأمانة العصبية الذين أدركناهم وماتوا من قريب: حامد الأمدى باستانبول، وهاشم محمد البغدادي، وسيد إبراهيم بالقاهرة، وبدوى بالشام، وكانوا عمالقة، وكلهم ساهم فى صنع الحياة.

## المبدعون منا .... آل الدعوة

إن علينا أن لا ننظر بالمنظار الضيق فنشترط أن يكون المبدع المسلم معنا وفى صفنا لكى نحتمى به ونعترف ونروج له، بل كل مبدع هو من صناع الحياة الإسلامية، ومن تمام أمرنا أن نفرح به ونقدمه، لأنه سيخدم توجهنا الحضارى ويساعد على غرس الأدواق فى الناس ومعانى الاعتدال وحب الجمال، ولربما حجبه عنا شبهة عارضة ستنزول، أو زوجة سافرة ستتوب، والحواجب كثيرة فى هذا الزمان الذى كثرت فيه الإشاعات، وهمم الناس مراتب، وأهل الستر أقرباؤنا، وجدير بنا أن نجعل الناتج الفنى للخطاطين المستورين ومن على شاكلتهم من المعماريين والقصاص والأدباء والآثاريين وسيلة فى أيدينا فى تعليم الناس صنعة الجمال، فالمدرس منا يذكرهم فى محاضراته، والصحفى منا يكتب عنها، والذى هو مدير جمعية منا أو مركز إسلامى يقيم لهم المعارض ويوطئ لهم المنابر فى المناسبات الثقافية، فتتعدد الثقافية، فتتعدد عندنا بذلك عوامل التأثير التربوى فى الناس، ونضيف بها ركناً سانداً فى صرح الحياة الإيمانية والهيكل الحضارى الإسلامى، ولسنا نريد تحويل الدعوة إلى هندسة سنانية وأحرف هاشمية، وإنما نحن نضرب أمثلة لسعة آفاق الحياة وصلتنا بها وصلتنا بنا، وبيان مهمتنا فى إصلاحها وتجميلها وتمدينها، وأن هذه المهمة الدعوية الحضارية لا يمكن القيام بها إلا بإعداد حضارى للداعية المسلم، يمنحه الشمول ورحابة الأفق، ويتركه صابراً طويلاً النفس، مسترسلاً مع عملية بنائية علمية فكرية فنية نفسية ممتدة من ناحية الزمن امتداداً مستقبلياً عميقاً يزدهد بالفورات العاطفية المجردة، ويحيد به عن الاستعجال والقفز والتسلل الجانبى، وإنما يواجه الحياة بثقة، وجهاً لوجه، مبرزاً صدره، غير أبه بالثرهات والعوائق والمساومات والاعراضات وسخافات الطواغيت حين يفتحون أبواب السجون وينصبون المشانق، فيمضى فى البناء بخطوط ثابتة، ويد متينة ترفع، ونفس شامخة تحلق، إذ الجبابرة يهدمون أركان الحياة، ويكتمون الأفواه، ويضيقون على المبدعين، فإن الناس تميز الهدم من الصناعة وهى مع الأحرار فى النهاية، ومع كل بناء .

## المنصور بنى ..... وحفيده حفظ

وصنع عبد الرحمن السويدى الحياة ذات يوم، سنة 1776 والسنوات الأربع التى تلتها. وهو ابن عالم بغداد عبد الله السويدى الذى خرج إلى (مؤتمر النجف) المشهور لمناقشة علماء السوء الذين غزوا العراق بمعية الشقى نادر شاه ملك العجم. وآل السويدى هم من ذرية الخلفاء العباسيين، ويرتقى نسبهم إلى هارون الرشيد .  
وكان عبد الرحمن من العلماء أيضاً، ورأى فراغاً سياسياً ببغداد بعد نكبة طاعون أراد أحد كبار موظفى الإدارة العثمانية اغتنامه، واسمه محمد عجم، وهو من النكرات المتصلة سراً بشاه العجم، واستطاع بحجبلته إيهام أهل بعض الأحياء البغدادية فاتحازوا له،

فأدرك عبد الرحمن الخطورة، نم فانتفض، وقاد أهل الكرخ وحى الشيخ عبد القادر الكيلانى وغيرهم، وثبتهم، وخاض بهم معارك موفقة ضد هذا النكرة وشرانم المرتزقة الذين تعاونوا معه، من شارع إلى شارع، وعلى جسر بغداد، حتى كتب الله له النصر، وحفظت بغداد من الأيادى العابثة بوقفته الابداعية ومبادرته الذاتية ولمعته الاجتهادية. وقد دون ملحمة البطولية بنفسه فى كتاب (حوادث بغداد والبصرة) الذى حققه وطبعه ببغداد الدكتور عماد عبد السلام رؤوف، وأرى أن يقرأ كل داعية هذا الكتاب ليتعرف على نموذج فذ من صناعة الحياة وكيف تكون، ولعل مخرجاً سينمائياً يخرجها للأمة فى فلم طويل أو حلقات تلفزيونية متتابعة تكون فيها نعم الموعظة والجواب لدعاة يسألون عن الابداع.

إن قصة عبد الرحمن السويدي مثل للبطولة، ونموذج للابداع وسرعة الاستجابة للمتطلبات وعمق تحسس الخطر، وقد برهن على أن صناعة الحياة لا تنتظر إنناً من أحد، فقد فرض نفسه، ويروى فى أول كتابه كيف أن مؤامرة محمد عجم لما بدأت سببت له نفضة، ويقول: فلما كادت الولاية أن تكون لهذا الفاجر قلت: والله ما ينبغي هذا ولا يصح، فشمريت عن ساعد الجد، وكلمت أهل المحلة...

فانظر عنصر المبادأة فيه، وردة الفعل الايمانية، والمبادرة، والثقة بالنفس، والتكليم والحث، والدق على الصدر، وقد أهله كل ذلك أن يكون قائداً لأهل بغداد.

### ملكان ..... وأمير ..... ووزير ..... ووف

وكان حيدر آباد ملك الدكن بالهند من صناع الحياة أيضاً، فإنه إضافة لملوكيته: كان له دور فى إسناد الوجود الإسلامى فى الهند وانتشار الإسلام هناك، ولربما كانت له أخطاء أو انتابه نقص أو لم يبرأ من ظلم، ولكن خدماته تبقى أكبر وأظهر وأثقل فى الميزان، وتهمة البخل التى تقال عنه إنما هى دعابة مضادة هندوكية، ولو لم تكن له إلا رعايته للنهضة العلمية الإسلامية هناك لكفاه ذلك، وبتشجيعه قامت دائرة المعارف العثمانية بالدكن بأداء دورها المهم فى طبع أهم الكتب فى الفقه والحديث واللغة بعدما كانت مخطوطاتها نادرة، ولهذه الدائرة قصب السبق فى هذا الباب، وعملها مبكر جداً وفيه إبداع عظيم .

ومثله، بل أظهر منه وأجل وأعلى كعباً: صديق حسن خان، العالم السلفى النقى الذى خطبته ملكة بهوبال بالهند لنفسها، فتزوجها وصار شريكاً لها وموجهاً ومستشاراً فى حكم بهوبال، وذلك أواخر القرن الماضى، وقال: ووجدتها حسنة الخلق والخلق. وقد منح صديق خان اهتمامه وهب للعلم الإسلامى وترويجه، فكان يؤلف ويطلع ويوزع مجاناً، ويطلع لغيره، ويراسل ويشجع، حتى استوى من كبار صناع الحياة .

وقد تقول : هؤلاء ملوك، تقيسنى بهم؟

فأقول : نعم، هم ملوك، لكنهم لم يخرجوا إلى بظر ولم ينسوا مهمتهم الايمانية. وها هنا يكمن فضلهم، وأريدك إن جعلك الله تعالى فى مكان الجاه وملك المال والصدارة والسطوة أن لا تنسى مهمتك كذلك، وأن تلبث على سنن التواضع، لا كما فعل فلان : وعد، فتمكن ، فنسى!

وكان الأمير عمر طوسون من صناع الحياة الإسلامية أيام فؤاد ملك مصر وقبله، وهو من عائلته، ولكنه عفيف معروف بالحمية الايمانية، وكان وحده يقوم بما تقوم به الآن جمعيات الاصلاح وصناديق الزكاة والمؤسسات الخيرية، فما أن تكون هناك حاجة لإغاثة إسلامية فى أنحاء العالم الإسلامى حتى يتصدى لجمع المال وإرسال المعونات والنجادات، وقد خلد شكيب أرسلان ذكره فى أكثر من مكان من كتاباته، رحمه الله .

ومن أصحاب الوزارة والنبل بداعستان: حيدر بامات رحمه الله، وقد هاجر إلى باريس بعدما عاث البلاشفة فساداً، فكان وجوده الغربى مميّزاً، وطفق يناضل المستشرقين وشبهاتهم، ويتغنى بالإسلام دهرأ فى بلاد الكفر، ويتصدر الدفاع عن الإسلام، ويعرف بالقضايا الإسلامية، ويتصل بالزعماء والعلماء والنبل، حاثاً ومشيراً وناصحاً، إلى أن توفى من قريب .

وممن ساهم فى صنع الحياة الإسلامية بصمت وتواضع: على عبد الواحد وافي، الأول بين العرب فى الدراسات الاجتماعية، وله الدور الوافى - كاسمه- فى حفظ مجال علم الاجتماع بمصر بريئاً من الاحاد أو تقليد النظريات الغربية، كما حدث فى بلاد أخرى، فقد كان الرجل إسلامى المنطلق، وترك أثراً حسناً، وما أحسب له نقصاً سوى عجزه عن إدراك ما يجرى فى إيران من صولة البدعة، ولكن مناقبه تبقى أكبر، وهو أبو الاجتماعيين العرب، ويمثل مدرسة كاملة ومنارة شامخة .

وغيره وغيرهم، وإنما أوردت نماذج فقط لنلا يطول عليك الكلام، وما زالت الأروقة الإسلامية بخير وفيها من يبدع ويصنع الحياة على نمط من الأنماط، من بطل يجاهد اليهود سراً يخطط أو ينفذ لحماس، أو ثابت على ذرى جبال الأفغان، أو مؤسس مع آخرين

لمصنع أو مزرعة، أو مزاحم في السوق للغرباء وأبناء الأقليات يستورد ويصدر ويحفظ المال للأمة، أو مترجع يعلم الناس العلم، أو صابر بين رفوف المكتبات وأكوام المخطوطات، في عشرات أخرى من أشكال الصناعة الصامتة والناطقة.  
وصنع زهير المنصور الحياة يوم لم تكن له غير خطوة واحدة. صنعها يوم ألف كتابه في الابداع، فكان مبدعاً بانتباهه إلى معنى الابداع .

## وللآخرين بذل

وصفة صناعة الحياة مطردة عند الملل الأخرى وغير المسلمين، سواء بسواء، يقود الحياة الذكي والصابر والماهر وكل مبدع متفنن مبادر.

فالحياة في أمريكا مثلاً إنما تقودها الصفوة التي فيها، وليسوا الذين نراهم يصفقون في المسابقات التلفزيونية، ولا الذين يتسكعون وتدمرهم المخدرات، بل هم نخبة من أساتذة الجامعات وأعضاء مراكز البحوث، ومدراء الشركات الكبيرة ومدراء البنوك، ووكلاء المخابرات الداخلية والخارجية، والأعضاء الحاليين والسابقين في الكونجرس، وكبار القضاة والمحامين، وعناصر المافيا، ورؤساء النقابات، ورجال البيت الأبيض، وعشرة في السيتي بنك وتشارتر بنك، وتسعة في مقر أرامكو، وثمانية في دهايز بنك النقد الدولي، وسبعة من رؤساء تحرير الصحف، وستة من رؤساء الجمعيات اليهودية والماسونية، وبقية المائتي مليون يعيشون على هامش الحياة، همهم البطون والجنس، وتجدهم بين رفوف السوبر ماركت أو أمام التلفزيون، أو في زاوية من مطاعم ماكدونالدز .

إن خمسين ألفاً فقط هم الذين يوجهون مسيرة أمريكا الحضارية، سياسياً واقتصادياً وعلمياً وعسكرياً ونفسياً، والبقية تتبع . وهذا هو الشأن في بريطانيا، وفرنسا، وألمانيا، والاتحاد السوفييتي، والصين، واليابان، والهند .

وهذا هو الشأن على مدى التاريخ من أيام روما، يوم أحاطت حاشية القيصر به غادرة وطعنه الطاعنون، ومعهم بروتوس صديقه ووزيره الذي ظنه فوق الغدر، فقال قولته الشهيرة: حتى أنت يا بروتوس؟  
جملة واحدة ألهمت مشاعر العامة فانتصرت للقيصر وتألمت له، ولكن فصاحة انطونيو بددت تأثيرهم وآلامهم، وخطبهم خطبة قلبت موقفهم في دقائق معدودة، وإذا بهم يهتفون له وقد كانوا قبل قليل يريدون قتله.  
تلك الخطبة وتلك الفصاحة وذلك التلاعب بالمعاني من عناوين صناعة الحياة، وقد آن لنا أن نفهم سر الحياة.

وتمر ألوف سنين ليوقف هيوستن في حدود سنة 183. أمام الكونجرس الأمريكي ويخطب خطبة بليغة لم يستعمل فيها كلمة مرتين، فسحر ألباب الرجال الذين أمامه، وكان قد نجح لتوه في تسكين ثائرة الهنود الحمر وجلبهم إلى توقيع اتفاقات مع الحكومة، فاستدعاه الرئيس الأمريكي آنذاك وقال له: إن تكساس تتبع المكسيك ومستقبل أمريكا متعلق بها، ولا بد من ضمها، وأريدها منك.  
فقال هيوستن : نعم أنا لها. زودني بمال ورجال .

قال الرئيس : لو كان عندي مال ورجال ما دعوتك، بل تذهب منفرداً وبلا دولار واحد، وأبعث معك حارساً حتى تعبر نهر المسيسيبي ويعود .

ومع ذلك قبل المهمة، وودعه الحارس على ضفة النهر، واندفع نحو تكساس، فلما دخل أول مدينة بها فتح له مكتب محاماه، فكان المدعى في المحكمة يخرج متهماً والمتهم بريئاً، لبلاغة وقوة لسانه، حتى انبهر به الناس، فلاثوا به، فتلاعب بمفاهيمهم وأخيلتهم، وغرس فيهم معنى ضرورة الاستقلال عن المكسيك، وأنشأ حركة قوية أتمت الاستقلال، ثم غرس معنى وجوب الانضمام إلى الولايات المتحدة، فانضمت طواعية بالقناعات التي غرسها هيوستن، وجاء بعد سنوات قليلة إلى الرئيس الأمريكي وسلمه مفتاح تكساس، إذ لم تطلق طليقة أمريكية ولم يصرف دولاراً، فشكره الرئيس، وخذلوا عمله بإطلاق اسمه على مدينة هيوستن التي هي الآن من أهم مدن أمريكا وعاصمة النفط فيها.

فهكذا صناعة الحياة حين تكون، وهكذا البلاغة والفصاحة تصنع ما تصنع .

ثم لورنس، الجاسوس الانجليزي وملك العرب غير المتوج، حين صنع الحياة على نمط آخر، بالدأب والصبر وقطع الصحراوات على ظهور الابل وهو ابن الثلج، وقد أدى وحده ما يؤديه جيش كبير، وقاد الأعراب حتى أنهك الجيش الإسلامي العثماني، وبسط النفوذ البريطاني على فلسطين، وكان دوره في ذلك أعظم من دور الجنرال اللنبي الذي قاد الجيش البريطاني في حملته من مصر على فلسطين، ثم حاز لورنس دمشق، وظل ينهك الجيش العثماني حتى استسلم بعد ذلك قرب حلب .

وخذع لورنس نقرأ من الضباط العرب في الجيش العثماني، فكانوا معه في مسيرته تلك من الحجاز إلى حلب، ومن أبرزهم نوري السعيد الذي لعب أهم الأدوار في السياسة العراقية بعد ذلك حتى مقتله سنة 1958 .

والمستعجل يظن نوري السعيد هذا مجرد خائن، وهو كذلك، ولكنه من صناع الحياة، وكان جلدأ ذكياً يقظاً مثابراً، وحاز علماً وثقافة عامة مكنته من أداء دوره، ولم يكن من اللاهين، وإنما كان ينهل من المصادر العربية والتركية والانجليزية والفرنسية، ولقد رأيت مكتبته بقصره يوم مقتله وقد استبيحت وتبعثرت، فكان فيها ما يدل على سعة اطلاعاته، حتى الشعر كان له فيه حصة وهو السياسي المنشغل، وقد أخذت ورقة من ديوان ممزق للشاعر التركي نامق كمال عليها ملاحظة لنوري، وقرأت مؤخراً محاضراته التي ألقاها على طلاب كلية الأركان العراقية عن المعارك التي خاضها خلال الثورة العربية بمعية لورنس، فازدت قناعة لا يشوبها شك في أنه كان من كبار صناع الحياة، لكنه فاجر، ولقد فار دمي إذ أنا أقرأ ما فعله بالمساكين من ضباط وجنود الجيش العثماني، وبعضهم عرب، ولكن غليان دمي ما ألغى حقيقة كونه من صناع الحياة المثابرين، وما كان من النائمين ولا المبذرين لأوقاتهم ولا الجاهلين. وعندى خبر المئات غير نوري ممن بنى الحياة العلمانية بسهر الليالي والمعارك والسجون والبذل، وآخرين من الأذكياء المبدعين، ولكني في موقف التمثيل لا تدوين التاريخ، والحر تكفيه الإشارة، وتذكر أن الحركة الشيوعية بدأت بكارل ماركس، وأن الحركة اليهودية الحديثة بدأت بمؤتمر حكما صهيون وبتطوير هرتزل لها، وأن الحكم النصيري السوري بدأ بنزول صعاليك من الجبال .

إن هذه القصص الإسلامية والجاهلية للأجيال التي ساهمت في صنع الحياة فيها مواظ ودروس، وهي برهان لكل داعية على أن الحياة يملكها من يصنعها ويبدل ويجمع العلوم ويتعلم الفصاحة، على ايان كان أم على الفجور والصعيان، ثم هي بلاغ لكل داعية أن يشمر، وأن يسهر، وأن يبكر، وأن يبتكر ، وأن يبادر .

إن حمل عقيدة ما يولد قضية تربوية في الدعوة إليها والثبات عليها، وهذه القضية التربوية تولد مواقف سياسية وسيرة مبدئية وتيارات عاطفية عارمة لا يمكن أن يصدها عن هدفها صاد، فالمال يبذل، والأرواح تزهب.

وكذلك تكون الحياة، وكذلك تبني من خلال التحدي والصراع. لقد جعل انطونيو أهل روما يلغنون قيصر إذ مازالت جثته مزرجة بدمائه. فما الذي مكن انطونيو أن يخطب خطبته تلك؟ ولو كان جالساً في بيت أمه هل كان سيستطيع أن يخطب بتلك البلاغة؟ إن أمه ربما كانت تخبز له، ولكنها لا تعلمه الفصاحة، وإنما تعلم الفصاحة من مشافهة الرجال والدرس على علماء اللغة، وعلمه التجول والاختلاط والعيش في البيئة السياسية، فلما خطب: عرف كيف يخطب وكيف يتلاعب بالمشاعر، وكيف يدغدغ العواطف، فيقلبهم من موطن النعمة عليه إلى موطن التأييد له. وبين انطونيو وفصحاء العرب الذين روى الأصمعي والفراء خطبهم أجيال عديدة، وكلهم على هذا النمط. وبين خطب العرب وخطابات هيوستن وعلى شريعتي نسب، ويجمعها جذر واحد، ثم الجميع وانطونيو أستاذهم هابيل في بدء الحياة البشرية حين خطب خطبته العاصمة وقال : إني أخاف الله رب العالمين ...

قد وضح الطريق، وتأكد لدينا أن برج السيطرة هو الذى يهيمن على حركة الحياة .

وليس اعتلاؤه بالهين، ويحتاج بجلاً هم الرجال حقاً، وفي طبقات واسعة تنتشر على أرض العلوم والفنون، وفي الأسواق، وفي ذرى الجبال.

ولكن مع ذلك يتميز من هؤلاء الرجال نفر قليل هم الحلقة الأهم فى السلسلة .  
(الأول) : هو الرجل الفذ الذى يقود، فإن هذه القيادة الجماعية الواسعة لحركة الحياة من قبل منات المبتكرين المبدعين أصحاب الأداء الجيد لا تغنى عن وجود هذا الرأس الذى يمتاز بالشمول وعمق الإيمان بالله وبالقدر وبالفضية، وهو مقدم قوى الشخصية، يقول فيفعل، ويصمم فيثبت، ويدق صدره فيقتحم.

متنوع الثقافة، مرهف الإحساس، حين يرى الجمال يستأسر له، ففيه من الشاعر والفنان خصال، لكنه رابط الجأش، فكأن له فى قادة الحروب مثلاً .

وهو لين العريكة، فى غير ما ضعف، عنيد قوى الإرادة، فى غير ما تكبر وبيوسة .  
كريم، إذ يغلب غيره العد، متوكل، إذ يقلق غيره المستقبل، حلیم، إذ تبقى فى قلوب الآخرين الرواسب.  
سائح يرى، ومجالس يشافه، ومطرق يفكر.  
وهب له ذكاء وحياء

طاف حول البروتون مع الألكترون، وذهب بعيداً إلى المجرات وأجرام السماء، وتأمل ما بين هذين العالمين، فأمن بالقدر حق الإيمان، وعرف سر حركة الحياة حق المعرفة، وله استناس بروى الصالحين ومذاهب المتفرسين، مع حرص على إشارات الملهمين، واستبشار بالفأل الحسن.

فهو بذلك كله من صناعة الحياة على خير، وله فيها سهم، وقد جعلته يقينه بأن الحياة لا يصنعها إلا ألف صانع: ملتقى لهؤلاء الصناع الألف وألوف من ورائهم، يطيعونه ويوالونه عن قناعة ورضا واختيار، بما عرفوا من حرصه على جماعية الرأى والدور والأداء تبعاً ليقينه بجماعية صناعة الحياة، فهم معه على تعاون وحسن ظن وطيب علاقة وتقديم، وهو معهم على وفاء واحترام، وبه يتم السير الجامع والانتظام .

هذا الأول، وأما (البقية) فهم رجال قلة عصابة واحدة، يمثلون المجموعة العالية الفكر، المجتهدة المخططة الرقبيية، ذات التربية العميقة، والعلم الواسع، فهم فرسان الفوارس.

إن لمعة الفكر هى التى تفقد العمل، والفكر المقلد لا يقود، بل يشطح أو تصل حلوله متأخرة وناقصة، وإنما الفكر الاجتهادى الابداعى هو الذى يقود ويدق باب المستقبل، وهذا الفكر الاجتهادى الابداعى إنما يؤسسه وقوف مع أى القرآن الكريم، ولبت مع سيرة النبى صلى الله عليه وسلم وقوله، وفحص لمذاهب المسلمين السالفين والمحدثين، ومعرفة بأخبار التاريخ والحضارات، وإطلاع على آفاق الفلسفات والتأملات العقلية، وجرى مع خيالات الشعراء ونبرات البلغاء، ونظر فى صفحات الجمال.

إن هذا الفكر المتقدم الاجتهادى لا يقدمه سواد الدعاة وجمهورهم، وإن كان كل واحد منهم يعلم جانباً من ذلك أو جوانب ربما، كما أن القيادة لا تقدم هذا الفكر، أو يفترض فيمن يكون كذلك أن يكون قيادياً، وذلك لأن القيادة منشغلة بالاداريات وترهقها هموم متنوعة، وأنها دائمة الملاحظة لساحة السياسة وترصدات العدو.

لكنها مهمة مجموعة ليس لها صنعة غير الفكر والحوار والقراءة والتأمل ولقاء الغير والرحيل إلى المؤتمرات واصطياد الخواطر وتآليفها، وأحسب أن هذه المجموعة هى القيادة الثانية، وهى ضمان التخطيط الحسن، وليسوا هم لجنة التخطيط، وهم ضمان التربية الحسنة، وما هم أعضاء لجنة التربية، وضمنان الرؤية السياسية الواضحة والاحتياطات الأمنية الكافية والاستثمارات المالية الرابحة، وليسوا هم رجال لجان السياسة والأمن والمال، ولكنهم عصابة فكر فقط، مهمتهم إتحاف القيادة واللجان بالاقتراحات وإثراء الخطط بأنواع الخيارات، مع نظرات ناقدة، وتحليلات تستقصى جذور المسائل ومقدماتها فتبرزها، وحين تواجه الدعوة ما هو جديد من الأمور وطارئ طارف يعاونها هؤلاء بالقياس والاشتقاق والترجيح.

حوار التخصيص فى دار الندوة وسوق عكاظ .

وتوافق الحاجة إلى هؤلاء الرجال الحاجة إلى أسلوبين :

**(الأول) :** الخروج من التعميم إلى التخصيص، فى الفكر والمناهج والتخطيط والعمل، فقد أدى التعميم وظيفته الأولية المرحلية بنجاح، ولا أقول إنه كان دليل نقص، بل أشاع وجمع وألهب، ووازى مستوى الناس المدعوين وحاجتهم، بل ولم يحسن جيل الداعين

غيره، واليوم تتفتح أبواب جديدة أمام الدعوة وآفاق لا بد من ولوجها والبلوغ إلى الأقصى، كما أن الدعاة قد نضجوا، وكل ذلك يتطلب هذا الميل إلى التخصيص، وليس يكفي اليوم أن نقول: لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، وإنما علينا أن نطرح حلونا الجزئية لمشاكل الاقتصاد والسياسة وقضايا التربية والتنمية. وليس يصبح أن نستمر في مناهج العواطف والحماسة، وإنما على منهجنا الشعب لانتاج صناعات الحياة. وعلى خطتنا أن تكون مجموعة خطط، لكل حقل وميدان خطته الاستراتيجية البعيدة المدى، والمتوسطة والقريبة التعبوية.

**(الثاني) :** تكميل العمل النظامي التربوي الخلفي للدعوة بأعمال أمامية مؤسسية، وإعطاء هذه المؤسسات دوراً أكبر مما مضى، فإنها مدارس تعلم الحياة وأسرارها، وشرفات تطل على ساحة الحياة، ومراصد، ومنافذ، وقنوات، ومسارب، ومساعد، وجوامع ومصانع. وانتبه إلى وصفى لها بالتكميل، فإنى أعنى ما أقول، فإن هناك من مستعجلة الدعاة من اشتط وتطرف في الحماسة للعمل المؤسسي وبالغ، فدعا في غمرة حماسته إلى إلغاء الصفوف الخلفية ومحاضن التربية، ولم يسأل نفسه: من ينتج له جيلاً آخر للمؤسسات إن أراد؟ وكان شطط آخرين قالوا بأن الدعوة يقودها أصحاب المؤسسات، وتغافلوا عن أتقياء أخفاء بالوراء، كأن الضرورة الأمنية تجلب جريرة، وما ثم جريرة، وإنما الجريرة في الذهول عن التكامل.

### ضحايا الاندفاع الأولى لا يلغون صواب الخطة

ومثل هذا الذهول والشطط والتغافل هو الذي ولد جفلة لدى كثير من نبلاء الدعاة وسادتهم من هذا النمط الذي ندعو إليه من الأساليب والخطط وطرق أبواب صناعة الحياة، وتحملهم على التشدد والبقاء على القديم قصص كثيرة من ضعف بعض الدعاة بعد تصديهم للظهور وحصول المكانة والجاه لهم داخل محيط الدعوة وخارجه، بحيث أصبح هؤلاء النبلاء يتخوفون أن يحل بإخوانهم الذين يبرزونهم إلى الحياة العامة لصناعة الحياة ما حل بإخوان لهم من قبل من غرور وتكبر وتفلت واستقلالية، وما يصحب ذلك من لفظ خشن وبطر وترف ورقة في الدين، ربما.

ومع المتخوفين حق، ولكن هذه السلبيات لا تعالج بالحجر، وفي اللبث داخل الأسوار القديمة تفويت مصالح وتأسيس وساوس، ولا بد من التوكل واقتحام هذه الآفاق الجديدة وعدم القياس على هذه السوابق، وأن ظنوناً عديدة وتأويلات صحيحة تشجعنا على ذلك. منها

**(أولاً) :** إن التوعية لم تكن كافية في تفهيم هذا النمط من العمل وتحليل آفاقه الخطئية، والداعية قد يملك حماسة تقوده إلى صناعة الحياة ولكن يعوزه فهم كيفية الأداء ومكانة عمله من جوانب العمل الأخرى، فيتكبر، ويبدو منه الجفاء، وتزداد اليوم مصادر التوعية الحركية ومعرفة فقه الدعوة، وفي ذلك ترويض للنفوس الجامحة، وتحجيم للخيلات الواهمة.

**(ثانياً) :** إن الدعوات تمر بمرحلة مراهقة كما هو الحال في الأفراد، فإنه إذا انتهى التأسيس: نشأ تفكير ذاتي غير متكلف يفتش عن أبواب الانفتاح، وفي المرحلة الأولى من هذا التفتيش تكون هذه المراهقة، ومن صورها: الدخول دون تدرج في أبواب انفتاحية عديدة مرة واحدة، فتصعب الرقابة ويقل التوجيه القيادي، ومن صورها : ممارسة الانفتاح دون التوعية التي نقول بها، فتكثر الأخطاء، فيكون التلاوم، ويكون الانتصار للنفس وطلب الاستقلالية. ومن صورها: تبدل القنوات ونقض الخطط بسرعة مع أول بوادر المصاعب، فيتولد قلق في الأداء وتبدل في اليد الماسكة بالمؤسسة، فينفر بعضهم.

**(ثالثاً) :** لم يكن الاختيار دقيقاً في كثير من الأحيان، فكأن التفاصيل وكثرة ما يلوكه اللسان من اصطلاحات التطوير والتخطيط والسياسة كان هو شرط الانتقاء، وغفلت القيادات عن دعاة متواضعين أوفياء أكثر ذكاء وأرجح وزناً، بل ربما اعترفت بعض القيادات بأنها كانت تختار أجود الدعاة لميدان التربية الدعوية، وتزهد بمن هنالك ممن لا يصلح للتربية أو من الضعفاء فتهبهم إلى العمل العام، وبذلك تكون قد شجعته من حيث لا تدري على التفلت ومواقف الغرور وأعاتت الشيطان عليهم.

**(رابعاً) :** كان الفرد بعد الفرد يبرز لميدان العمل العام، ومن شأن الفرد أن يستوحش لوحده إذا لم يجد الأنيس المرافق، فيضعف، بينما إذا برز سرب كامل كما ندعون الآن فإن الوحشة تزول ويكون الاستئناس، بل وتكون الرقابة أيضاً، بعضهم على بعض، فإن من لا يستحي من الله تعالى قد يستحي من الناس، وهذا معنى حيوي مطلوب أيضاً.

**(خامساً) :** إن كل ظاهرة سلبية تحتاج إلى تحليل ومعرفة لجذورها وأسبابها، وهذا ما لا يأتي به إلا مؤتمر دعوى يشارك فيه أهل الرأي والخبرة الطويلة، وأحسب أنه لم تعقد في الأقطار التي تشكو تقلت البعض مثل هذه المؤتمرات، ولو عرفت الأسباب لوضعت الحلول المناسبة، وما من داع إلا وله دواء .

**بل هو الله سبحانه ، لست أنا ولا أنت**

ومع ذلك تبقى الموعظة لصناع الحياة واجبة، فإن الشيطان قريب من ابن آدم ويجرى منه مجرى الدم، وقد يزين للبعض ويجعله يكثر أن يقول: أنا، وأنا. ويقول: من السواد الأعظم؟ بل الخطأ أنا وضعتها، والأعمال أنا نفذتها، والآراء انطلقت من قريحتي، والبلاغة سالت من لساني، وأنا صنعت الحياة، ويشهد لي محمد أحمد الراشد!

بل أنا بريء من هذا المدعى، ولا أشهد له، وإنما أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وأشهد أنه بفضل الله صال وجال، وهو الفقير الضعيف، ثم بفضل الدعوة وأموال الدعوة ودعاية الدعوة، ولولا أن الدعاة زاملوه لاستوحش الطريق، وكل طبقات الدعاة لهم عليه فضل حتى الأمي منهم، بدعائهم له.

ومن أصل الإيمان أن يعتقد المرء: أن محبة العباد له واجتماع القلوب حوله لا يؤسسهما عمله هو ولسانه وبيانه، وإنما ذلك محض هبة من الله تعالى وتفضل، يهب لمن يشاء قبولاً بين الناس، ويخفف أمر وسمعة من يشاء، بحسب ما في القلوب من نية وبدور خيرية أو فضولية، كما في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم حين قال : (إن الله تعالى إذا أحب عبداً أمر ملائكته أن ينادوا في الناس أنى قد أحببت فلاناً فأحبهه، فما يصبح أحد أو يمسي إلا وهو يحب ذلك العبد، وإن الله إذا أبغض عبداً أمر ملائكته أن ينادوا في الناس أنى قد أبغضت فلاناً فابغضوه، فما يصبح أحد أو يمسي إلا وهو يبغض ذلك العبد.)، أو كما قال عليه الصلاة والسلام

والمفروض أن يتعظ كل داعية بهذه الحقيقة، وأن يصلح ما بينه وبين الجماعة ليصلح أمره مع الله، لينال المكانة بين الناس، كما أن في هذه الحقيقة كل التطمين للدعاة أن لا يخافوا من مشاكس يتحدى، وأن لا يحسبوا طویل حساب لمنخزل ينافس ويدعو لنفسه ويخذل فانه غير واصل إلى نتيجة باذن الله، وسيبذل الجهد كل الجهد ويستعمل كل طاقاته وأوقاته وأمواله ثم يؤول إلى لا شيء، لافتقاده الملائكة الذين ينادون في الناس بحبه .

ونصيحة أقولها للقيادات : إن غرور بعض الدعاة إذ هم يصنعون الحياة وإذ هم يرون أنفسهم في مكان الواجهة يجب أن لا يمنعنا من المضي في هذه الخطة، لأن عملية صعود سلم التطور الحضارى والدعوى كفيلة بالغربة، وسيأتى جيل أفقه منهم وأركز وأنضج وأوفى للجماعة وأعمق شكراً لله، ويكطون هؤلاء قد أدوا دورهم القدرى الذى كتبه الله عليهم، فإن فى أصل سنة الحياة أن ندفع ضريبة التطور على شكل نفر يتساقطون، وهؤلاء هم الضريبة، وسيأتى الله بعدهم بقوم أعلم منهم وأظهر تواضحاً وأحرص على أجر اللبث فى الصفوف الدعوية.

**المؤمن يصافح ويصالح**

إن خطة صناعة الحياة خطة معظمها إيجاب ونفع، ولكن المحنة التي فيها وجانب السلب والضرر يتمثل في احتمال غرور بعض صناع الحياة وتفردهم من بعد الانتماء وظنهم أنهم يقدرون أن يفعلوا ما يفعله أنتماؤهم الجماعى، وقد عرفت وجه وهمهم ونسيانهم أن الفضل كله بيد الله، يعز كمن يشاء إذا رأى منه الوفاء، ويصرف الناس عمن يشاء ويجعل أمره بائراً إذا رأى منه الجفاء، وما عرف داعية هذا الميزان الايمانى القدرى إلا ازداد التصاقاً بالجماعة، وتواضع، والتزم وتبرأ من ادعاء الحول والقوة، وأيقن أن لا حول ولا قوة إلا بالله .

**هذا هو السلب الأول .**

**وأما السلب الثانى-** وما أحسب وجود ثالث- : فهو جفلة الذى يتصل به الدعاة ويطلبون منه الولاء فإن الذى يقرأ هذا الكتاب ويعرف أننا نقيسه بقياس التابع الموالى الدائر فى الفلك يكون أحد عنصرين: عنصر يقول: ولم لا؟ نعم أكون تابعاً بالحق، وعلى سنة الايمان، والحياة الإسلامية كلها تعاون، ومن كان له فضل الاستاذية على وتعليمى الأدب الشرعى فبحق يطلب أن أواليه وأواقه

وأحب من يحبه وأستشيريه فى أمورى وأتحرى له المصالح وأدفع عنه الضرر وأعينه باللسان والجهد والمال، وما أجده قد طلب منى عسفاً، وكما أكل من غرس يده اليوم سأغرس غداً ويأكل غيرى من غرس يدي، وما يزال الخير سندا يتواصل ويستمر، والجيل من الجيل يستلم الراية، والحمد لله الذى أتاح لى الارتواء، وجعل لى مكاناً فى سند الرواية، وأمل أن يمنحنى من بعد شرف السقاية. وأما العنصر الآخر فيحيص متملصاً ويضجر، وتأخذه عزة خادعة ونوبة شمم وأنفة، فيشمخ ويقول: قد قللوا قدرى فجعلونى تابعاً، وأنا ابن جلاً وطلاع الثنايا، وحفيد الأكرمين وسليل الشرفاء، وجدى فلان، وخالى علان، فلا والله ما تبعتمهم ولا أمنحهم هذا الولاء، بل أنا الأول المقدم والحر المستقل.

ولنفسه ظلم هذا الحسيب، وقد اختار التسكع يظنه الحرية، فإنما ما جننا ننازعه الشرف، وإنما نجبوه مسلمين مسالمين محيين، ونطلب منه النزول إلى ساحة خدمة الإسلام نحن وإياه على أخوة وسواء، فإن كان مثلنا فى العلم والخبرة: فهو من صناع الحياة لا ضير، وهو المحور والقطب والبؤرة. وإن كان دوننا فى العلم والخبرة: فالعلم قائد، ولذى الخبرة إمرة، وما ندعى فى ذلك إرثاً من جد أظهر شرفاً من جده، ولكن الله قد حكم بين العباد، فمن قدمه الشرع تقدم، وتضم المتقدم والمتأخر قافلة، والجميع رهط الإيمان، يتكافلون ويتناصرون .

### صناعة الحياة تجديد وإضافة .... ولا تنازع العرف القديم

والمعنى الجديد الذى يحمله نظرية صناعة الحياة قد يسبب ظنوناً بعيدة لدى الدعاة، ويفجر الكثير من التساؤلات، ويتوهمون لزوم ما لا يلزم، ووجوب تضيق واسع يسيحون فى جنباته .

وليس كذلك الأمر، وأعراف الدعوة المتوارثة كلها صحيحة، وخطة الدعوة فى الاتصال والاحتفال والتربية الأسرية صواب لا بد من مواصلته وإمضائه والحرص عليه، وإنما يأتى أسلوب صناعة الحياة مأتى التكميل والتحسين والتطوير، بل هو التذكير بحقيقة دعوية كبيرة ما زال الدعاة يتقبلونها لما كانت تأتيمهم بالطريقة العفوية، ولطالما قاد الاجتهاد الشخصى بعض الدعاة إلى نصب أنفسهم صناعات للحياة، فعرف الله صدق توجههم، وكان لهم تمكن وإبداع، فقبلهم المجتمع الدعوى الخاص والمجتمع الإسلامى العام بصفتهم هذه قبولاً مسترسلاً هادناً بلا ضوضاء، وللدعوة بالأمس واليوم أجيال من النبلاء بعدد وافر على هذه الصفة، وهم من أهل الصنعة بحق، من بين مجاهد وواعظ وشاعر وذى فكر، وما زدنا هنا على أن اكتشفنا ذلك ونطقنا بالترويج والتعميم وإبداء المساعدة القيادية فى ذلك، كمثل خبير زراعى يلاحظ إذ هو فى حقله التجريبي قوة فى خصائص نوع من البذور، فيحسنها ويستنبتها وينشرها.

فمن الأسئلة التى تثار: سؤال عن هذه الطريقة: هل هى إلغاء لدور الجماعة، وتحويل الأمر على عاتق أنفار الصناعين مهما ازداد عددهم أو قل؟

والغرابية واضحة فى هذا السؤال الذى سببه تحميل الكلام ما لا يحتمل، ولا يغنى عن وجود الجماعة بقيادتها وعلاقاتها شىء آخر، ولا يكون بعض أساليب الأداء هو البديل عنها، كلا، بل الجماعة حق، ووجودها واجب شرعى ومصلى، ببراهين النصوص والعقل، وما طريقة صناعة الحياة إلا وسيلة لزيادة المقدرة الانتاجية لدى الدعاة، ويظل دور الجماعة يتأكد فى حقلين على الأخص: حقل تربية صانعى الحياة هؤلاء وتسهيل تنفيذهم لأدوارهم من خلال المناهج المتخصصة والحث والرقابة وإبراز الأستاذ القدوة فى كل فن. وحقل السيطرة على الأداء المتنوع فى الساحة الواسعة وإحلال الانسجام فيه والتوافق وتركيزه فى المكان أو الزمان ليحدث أثره من خلال الزخم المجتمع.

ثم يثار سؤال: هل هذا توجه ينفى أن تكون الدعوة جماهيرية ويجعلها جملة تجمهرات صغيرة وتجمعات عديدة، كل صانع ومن معه؟ ولم يكن المقصود هذا، مرة أخرى، فإن المعايير الخطئية والتدرجات المرحلية إذا سوغت الصفة الجماهيرية فهى سانعة عندنا لا ننكرها، ولكن فى طريقة صناعة الحياة ربط بالولاء الواعى القوى الخاص الذى هو أقوى من الروابط العاطفية الحماسية القصيرة المدى التى يولدها العمل الجماهيرى عادة، ولا بأس أن تكون هناك أساليب فى عملنا تؤدى إلى هذا الولاء العام للجمهور لنا، من حفلات ومسيرات ومخاطبات إعلامية ونبرات إثارة لاهبة، ولكن هناك خط إمداد والتقاط خلفى أولى يمثلة صناعات الحياة، ثم خط تركيز خلفى ثان تمثله التربية الأسرية، ثم خط تطوير ثالث يمثلة البناء التخصصى لصناعات حياة جدد، ينزلون إلى الميدان مرة أخرى صناعاتاً وقد كانوا قبل سنوات فى سواد الجمهور، فتكون الدورة الحياتية- التى هى سنة المخلوقات - تامة دائرة سائرة، مبرهنة فى النهاية على ما برهناه فى البداية من تعلق الاهرة الدعوية بالظواهر الكونية القدرية، وسبحان الله أولاً وآخرأ .

ويتساءلون: هل هذا إلغاء لدور التربية العقائدية واللجوء إلى ربط الناس بنا من خلال المصالح والخدمات، بما يقدمه الطبيب أو المهندس أو التاجر؟ .

والجواب: كلا، فلنأخذ مثل الأحزاب الغربية في البلاد الرأسمالية التي تتسابق إلى كسب الناس من خلال تقديم الخدمات، وإن كانت خدمة الناس من الحق، وهي من فضائل الإيمان، وخير الناس أنفعهم للناس، ولكننا نميز معنى التمايز، وحبنا وبغضنا هو في الله، والمسلم أخ لنا، والملحد نعاديه ونكبته، ونحتكم إلى الشرع إذعانا لله تعالى وطاعة، ونغرس في الناس هذا معنى من الامتثال والتسليم، ونضع القرآن فرقاناً بيننا وبين قومنا وحكامنا، والجبار المتعجرف عندنا صغير في أدنى التضاؤل، والضعيف الموحد كبير في ذرى التسامى والله أكبر.

كل هذا عندنا واضح، ولكننا كدعاة مسلمين نرشح أنفسنا لقيادة الحياة بدل الفاسق والعاطل والخامل والخائن واللاهى والظالم، والاجادة المهنية التي حرصت عليها نظرية صناعة الحياة إنما هي لفتح خط التعامل مع الآخرين، وتراد كوسيلة مبادأة، وهي مثل جهاز هاتف يرفع الداعية سماعته ويقول للآخر: آمن بالله وكن مسلماً وانتصر للمسلمين. فليس جهاز الهاتف غاية، ولا هو المنتهى، وما هو إلا آلة ووسيلة وسبب سماع ومواجهة وحوار، وعلى معدن الكلام وموضوعه التعويل، والله الهادى .

وكان (عبد الحميد) يوماً ما من الناشئة الذين معى، تغمره لذة البداية، فتأجج حماسة بعد درس شرحت فيه قول نوح عليه السلام: ((رب إنى دعوت قومي ليلاً ونهاراً))، وأسف لأنه لا يستطيع الوصول إلى فتيان فى الحى الذى يلى حيه، فتفتق ذهنه عن وسيلة: أن صنع الحلوى التى نسميها (المكاوية) وذهب يبيعهها بثمن بخس لهؤلاء الفتية الذين رنا إليهم، فأصبح الخط بينه وبينهم سالكاً، وأصبح يشافهمهم متى شاء، ويبشرهم بالبشائر الدعوية، وصار لهم معلماً وهو القرين.

والناس تنتظر منا الخدمة، وتظن فينا ظن الخير، وقد كنت ذات صباح جالساً بديوان جمعية الإصلاح، فجاء شاب يافع قال لى: أبى وأمى يتشاجران كثيراً، حتى صار بيتنا جحيماً، وأنا وأختى الصغار ضحية، ففعل الجمعية تصلح بينهما وتعظهما لعرف معنى الحياة .

فقلت : يا بنى، نخشى أن نتدخل فى خصوصيات الناس

فقال : كلا ، بل أنتم اسمكم جمعية (إصلاح)، وهذا أول معانى الإصلاح: أن تصلحوا بين الأزواج، وإن لم تصدقوا اسمكم فماذا يا ترى تعملون؟

فأطرقت ملياً وقد أفحمنى وحجنى، وقلت له: بل أنت الصادق، وفهمك الفطرى هو الصحيح يا ابنى. وأخذته إلى رئيس الجمعية، وقص عليه القصص.

وإن فهمنا لصناعة الحياة مشتق من مثل هذا المنطق الذى أحسنه هذا الفتى اللفهان بالبداية.

ويخشى آخرون أن يخرج فن القصة صاحبه الذى يزمع صناعة الحياة فيكون قاصاً كالذين ذمهم أحمد بن حنبل، يحوم حول الكذب، ويرتكب المبالغات، وأن يمتلئ جوف شاعرنا صانع الحياة بالشعر، ولأن يمتلئ جوفه قبحاً خيراً له من أن يمتلئ شعراً. وهكذا يستخرج لكل فن عيباً وسلباً، ويستنتج أن هذه الخطة ذات خطر، وستودى إلى أن يكون القرآن مهجوراً .

وهذه دروشة يابسة، وهى شنشنة المحدودين، كأن الدعوة إلى شىء تستلزم نقض غيره، وليس هناك تكامل وفهم شامل، والصحيح أن هذا الكتاب يورد خبراً من أخبار العمل الإسلامى، ومائة خبر آخر هى فى كتب مباركة لآخرين، وتحلية أجر القرآن وتلاوته واجب أوفته مواعظ الكثيرين،/ وليس من شأن كل كاتب أن يلتزم فى كتابه إيراد فهرست الإسلام والإيمان والاحسان كله لا يدع منه شيئاً، ولا أن يجعل صفحاته قاموساً، وإنما حسبه أن يورد الفكرة الطارفة، وأن يكمل النقص، وما يزال البعض يعيش فى وسوسة تجعله يدور بين الإفراط والتفريط، فلا يخطر له معنى إلا استحضر نقيضه التام وطرفه المقابل، كأن لا وسط فى الأمور ولا اعتدال ولا حسن، فما أن تطرب لشعر حتى يتهمك بهجر القرآن، وما أن تلجأ لمجاز حتى يحذرك التهويل، ولا أن تطلب بعض دنائير حتى ينسبك إلى عقوق الثورى وفضيل، وكل هذا من نقص المنهجية فى أسلوب الفهم والنقد والتقويم، ومن استيلاء الفوضى، والعجز عن إدراك الشمول .

ويستفسرون: أهذه النظرية نقض لمبدأ القوة وأسلوب التغيير؟

ونكرر النفى، لكن آخر الدواء الكى، والمظنون أن تعاضم الولاء والاستقصاء فى جمعه عبر هذه الفنون المتنوعة لنصاع الحياة سوف لا يبقى حاجة لمثل ذلك، وسيكون زخم هذا الولاء وحجمه العظيم عاصفاً، لكنه عصف الهدوء والسلام .

ويسألون : أهذه هى الخطة الوحيدة فى العمل العام؟

فبقول: كلا، وإنما هي شق، والشق الآخر المكمل المعادل يكمن في (منهجية الانفتاح)، فإن الحياة يقودها قادتتها وصناعها كما قلنا، فنصف هؤلاء الصناع تصنعهم هذه النظرية وتربيتهم وتدفعهم إلى المزاحمة واحتلال مكان يمارسون منه التأثير، والنصف الآخر هم صناع القرار، ولهم ذكاء ومهارات وفنون، وقد جمعوا من الولاء رصيماً ضخماً، وواجب منهجية الانفتاح أن تصل إلى الصالحين منهم وتتفاهم معهم، لتحوز صناعاتاً جاهزين يمنحونها ما جمعوا بمبادرتهم، من بين عالم وواعظ وشاعر وإعلامي وتاجر وسياسي وباحث ومخترع وعميد عائلة وشيخ قبيلة ونبييل، فالمؤمن منهم يحس بالقرابة لا بد، ويحن إلينا، فإن العرق دساس، والأشكال حلفاء، وهذه قصة أخرى مستقلة كاملة ذات أخبار وفصول وفروع، ليس هنا محل بسطها، ويكفينا الآن أن نعلم أنها تسير بموازاة صناعة الحياة، وأن الثنتين من خلفهما الخط الثالث الداخلي .

### ويقولون: لم نسمع بهذا من قبل، ولم ينفذ ؟

ونقول : شأن الأمور التطور، وليبلغ الشاهد الغائب، وتدوين هذا الكتاب جزء من الترويج لهذه المعاني، ومما لم يفتن له أكثر الناس أن عصر الصحوة هذا يشهد صحوة في القيادات كما شهد صحوة الشباب الصاعد، وأن هذه المرحلة تشهد ثورة في التخطيط والاستدراك على نقص الأمتس، وقد بدأ ذلك يوم ولد العمل العالمي، والطاقت الإسلامية الكامنة تزداد اليوم انطلاقاً، ولكن الأعمال الجبارة تحتاج أن ننظرها سنوات لتتضح، ونحن نعاني أمراً حضارياً صعباً وليس عملاً هامشياً أو مجرد وصول سياسي، وما كان للدعوة إلا أن تمر بمراحل النضوج المتتابعة لتظل اليوم على عملية صناعة الحياة من موطن الوعي والاقتدار، والله القادر، وهو للظالمين القاهر، وقد أذن الله تعالى للدعاة أن يشيع بينهم الابتسام من بعد الحزن، وشعارنا الآن إنما هو التفاؤل ورجاء الخير وانتظار النصر، ولا استئني من تطبيق نظرية صناعة الحياة إلا الأقطار التي يسودها إرهاب وحكم تعسفي شديد الإرهاق، فإن الداعية هناك قد لا يستطيع الاعلان عن نفسه او اعتلاء المنابر أو توزيع الأشرطة. ومع ذلك فإننا إذا استبعدنا هذا الاعلان فإن هذه النظرية قد تكون أصلح ما تكون لهذه البلاد التي تنن، إذ تتيح مجالاً لوجود منات نقاط التجمع الدعوية بعدد وجود صناع الحياة حين يكون العمل التنظيمي صعباً، فتكون هي الحل للمعضلة على عكس ما نتصور.

### شيء واحد يلزمنا لذلك : أن ننشط وندأب ونسعى ونتحرك ونعمل !

وقد رأيت من خلال تجولي أن أوقاتاً كثيرة لدى بعض الدعاة يبذرونها، فيكثرن تبادل الزيارات العائلية مثلاً، فيصطحب الداعية زوجها إلى بيت أخ له، ثم آخر وآخر، في سلسلة لا تنتهي، وربما يبيت مع زوجته وأطفاله الليلي ذوات العدد في بيت أخيه، فيشغله. ورأيت إكثاراً من الولايم بأدنى مناسبة، وخروجاً جماعياً للعوائل إلى الحدائق والبراري بنوع إكثار وتكرار، وما ثم إلا أحاديث أبعد ما تكون عن العلم وقضايا الإسلام، بل عن الأولاد والزوجات والأسعار والسيارات، وهذا النمط قاتل للقابليات والطاقت، وهو ضد منهجية صناعة الحياة، وفيه هدر للمال والوقت، وغيرنا يدأب ويبني نفسه ويكتال من العلوم، ولا بد من وضع حد لهذه الأعراف الخاطئة، ويلزمها فدائي في كل مدينة يضرب عن حضور ولائم الآخرين ويتخلف عن بعض الرحلات ليقنتدى به البقية، وسيتهمه إخوانه بقلّة الذوق وربما بالبخل، ولكنه سيأطّرهم على الحق أطراً بذلك. وقد سألت بعض الدعاة من طلاب البعوث في أمريكا عن صنيع الطلاب اليابانيين الذين معهم، فقالوا : ربما يلبنون في مكتبة الجامعة إلى نصف الليل، وربما نام أحدهم وهو جالس على كرسيه ويواصل الدراسة في اليوم الثاني من غير ذهاب للبيت، فعجبت لحرصهم وقلّة حرص بعض الدعاة على الأوقات. وشفت مرة لداعية أن يقبله الأستاذ فؤاد سزكين طالباً بمعهد في فرانكفورت: معهد تاريخ العلوم الإسلامية، فاشترط الأستاذ سزكين أن يشتغل الطالب ست عشرة ساعة يومياً، فرفض، ثم أراني الأستاذ سزكين من بعد عدداً من الطلاب اليابانيين في معده وقد انكبوا على المخطوطات العربية يدرسونها ويبعثونها إلى الحياة وقد رضوا بهذا الشرط، فتأمل .

ولست بالذي يدعو إلى فرط الجد الذي لا راحة معه، بل أرى التمتع بالمباحات والاصطياف والسياحة والراحة، وأفعل ذلك، ولكني لا أرى الإسراف في ذلك كما يسرف إخواني.

وقد رويت لي رواية وعظمتي: قالوا: كان مدير سكك الحدي في الزمن القديم في العراق بريطانيا، فوضع أمامه ملف موظف مرشح للترقية درجة وظيفية أعلى ليقوع عليه، وفي التقرير المرفق عنه أن من محاسنه أنه لم يطلب إجازة عشر سنوات، فصعق المدير وقال: ما هذا بشر، ويعاقب على ذلك، وأمر بتخفيض درجته الوظيفية أعتقد وجوب راحة الداعية كل موسم والترويج عن عائلته، ولكن الشيء إذا خرج عن حده المعتدل صار ضرراً.

بل أنا أرى أن من تمام صانع الحياة لنفسه أن يكون كالغربيين في ممارسة أنواع الرياضة والتسلية، من المشي ولعب الكرة وركوب الزوارق، بل والطائرات الشراعية والبالونات إن استطاع وكان ميسوراً، وأن يصيد السمك ويتجول في الغابات، لأن هذه الممارسة تزيده نشاطاً وقوة بدنية ونفسية، وترفع معنويته وتنسيه همومه، لا كمل المجالس المكررة التي تقتل النفس وتولد الضجر.

وغايتي أن أقول: إن عنايتنا بأمرنا الدعوى ضعيفة، ولا بد من إعتاب النفس في ذلك، ولا بد من بذل المزيد، ووضع حد لتمنيات الزوجات .  
وقد كنت في الأيام الخوالي الألف إخواني فأفتش على أحديتهم! .

ليس على نظافتها وصبغها ورونقها، كالتفتيش العسكري، بل على استهلاكها وتقطعها والغبار الذي عليها، وأقلبها فأرى النعل، فمن كان أسفل حدانه متهدناً تالفاً فهو الناجح، وأقول له: شاهدك معك: حذاؤك يشهد لك أنك تعمل وتغزو في مصالح الدعوة وتروح، وتطبق قاعدة : (وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قول اتبعوا المرسلين)، وبكثرة حركتك تلف حذاؤك، فأنت المجتاز المرضى عندي.

قال (صباح): قد والله بعد عشرين سنة يأخذني تائب الضمير كلما رأيت حذاءي لا غبار عليه، وأتذكر ذاك التفتيش! فاختر لنفسك أخی أن تكون صباحاً، أو أن تنام حتى الضحي، ولكن يلزمك أن تعرف أن علامة التوفيق: الكد والتعب والسهر، ولذة الأحرار إنما يفجرها البذل، ولو عرف المتجنبن المنعزل ما يغمر المتلف لنفسه في الله من نشوة وفرح غامر لزامه وسابقه ونافسه، ولكن فاقد الشيء لا يعطيه، وقد يحرم المرء نفسه اللذائذ جهلاً أو إذا اختل عنده الميزان وكان حسابه غلطاً ...

## عواصم

وإذ نحن على مشارف الانتهاء- وقد حصل لك تمييز الشبهات والأوهام وجواب التساؤلات والاعتراضات وعرفت الشروط - : يجدر أن ننبهك إلى جملة معان أساسية في العمل الإسلامي هي من الأهمية بمكان، وتبرز كشروط تعصم نظرية صناعة الحياة من الشطط، وتؤدي إلى استقامة العمل وحمايته من الضعفاء والمتسلقين والمتمشدقين.

### فاعرف -سدد الله خطاك- :

(1) أهمية الانتقاء وضرورته، وأن التوسع في طلب الولاء على طريقة صناعة الحياة لا يلغيه، فالدعوة دار لها داخل وظاهر. فالظاهر يسع كل أمة محمد صلى الله عليه وسلم، هم في عرضات الدعوة متى وفدوا وكانوا بما عندنا من الراغبين. نبذل لهم المحبة والخدمة والأخوة بلا استثناء، ونرفق بهم ونحلم ونوسع الصدور. ولكن الداخل حرم، وهو مأوى الأصدقاء الثقات النبلاء الأمناء فقط، لأنه موطن اتخاذ القرار واختيار الخطة والأسرار، وأي تساهل في ذلك قد ينتج عنه الانحراف، ولذلك لن يصل له إلا القديم الولاء، العابد المتواضع، العفيف اللسان، إذا آتاه الله من الذكاء والشجاعة مقداراً، ووهبه قوة الشخصية وجودة الصفات الفطرية .

(2) وأهمية الخط الخلفي، حيث تربية الرجال، فإن المؤسسات والواجهات لا تلغيه كما يتوهم البعض، لأنها مجال عمل عام كأوسع ما يكون التعميم أحياناً، لا يكون فيها الانتقاء، ولا الشرط المتشدد، ويطراً على عضويتها وأنماط عملها تأول لا حدود له، وترخص، وتمرير لما هو خلاف الأصول والقياس. ومذهب العمل فيها لا تضبطه قواعد وثوابت وأعراف راسخة، بل الأدواق المحضنة وموازنات المصالح الموسمية والانتخابية، وربما حتى الولاءات الشخصية، وكل لجنة إدارية جديدة تبدأ بإلغاء خطة وقرارات اللجنة التي سلفتها، فلا يكون استقرار العمل والاجتهاد، وإنما القلق والتبدل هو الغالب، وقد تحدث رياح عاتية بسبب الإفراط في الشورى ومعاني الديمقراطية وتدخل الجدد فيما لا خبرة لهم به، أو تحدث ضغوط تحركها الأهواء، والخطة الدعوية ترضى بعمل الواجهات رغم كل هذه السلبيات باعتبارها بيئة أولية للتدريب وإنما العواطف وتأسيس العلاقات، ولكنها لا ترضى بأن تتجاوز قدرها وحدودها، ولا بد من وجود الصفوف الخلفية التربوية، حيث أهل النقاء والالتزام، وحيث الثوابت والاستقرار. بل وفي معظم الأحوال يجب استتار هذه الصفوف بسبب الضرورات

الأمنية، حتى في الغرب حيث يظن البعض أن الحرية قائمة، لأن تبادل المعلومات مع الشرق قائم، وانتشار عناصر الجاسوسية حاصل، ومن أخطر التوجهات ما يفكر به البعض من تحول الدعوة في الغرب إلى العلانية وصيرورتها حزباً، إذ أن القوانين الغربية تلزمها آنذاك بقبول كل راغب في الانتساب، فتنميع الأمور وتختلط، وقد يصح أن تكون العلانية في بلد مشرقى معين، للظروف الجيدة في ذلك البلد، ولكن كيف يصح ذلك في الغرب وقد أتى الدعاة من جميع البلاد واختلطت المصالح؟

وليس الحل في أن تعزل المقيم عن الطارئ، لأن الطارئين هم الأكثرية، وهم الأقرب في الأغلب إلى تحقق الأوصاف فيهم، لجودة تربيتهم المشرقية التي لم تنح تحت أيام الغرب منها بعد، ولكل ظاهرة عامة شواذ لا تصلح للقياس وتبديل الميزان، والحل الذي هو خير من ذلك كله: أن يبقى مصنع الرجال الخلفى المستتر، لا يمسه ترخص ولا إعلان ولا تبديل ولا تسهيل، وأن يبقى مصدراً للقرار، وتكون هناك واجهة من بعض المقيمين على شكل حزب أو جمعية، ويكون في أجوائها من المرونة ما يؤهلها لتعاون إسلامي عام، ولا ضير في ذلك ما دامت لا تعدو قدرها ولا تتحكم بمصائر الدعاة .

(3) وأهمية القيادة في العمل الإسلامي، وأن جودة عمل صناعات الحياة لا يلغى دورها، ولا بد من طاعتها، والصدور عن أمرها، فإن صانع الحياة يبقى فرداً مهما أوتى من علم وقوة وفن، وهو بحاجة إلى أن يضم جهوده إلى جهود الآخرين ليتولد الضغط الإسلامي، وهذا الضم تلزمه مفاصل تنسيق وميادين اجتماع وتبادل خبرات وتكامل أداء، وكل ذلك إنما يمر عبر القيادة، وعنها يتوزع، فهي قلب العمل وأداة الانسجام والتناغم وطريق المناقشة وحزام الربط، فوق أنها الرمز العاطفي الذي يملأ الحاجات النفسية للعاملين، وركن الاستناد الذي يسند المتعب ظهره إليه، ولا يستطيع الداعية من صناعات الحياة الاستغناء عن جزء من ذلك فضلاً عن كله، وكل البراهين الشرعية والعقلية لوجوب العمل الجماعي تصدق على وجوب طاعتها أيضاً ووجوب بروزها وشخصها وسيطرتها على العمل، وبعض ذلك من بعض، وكل نزعة إلى استقلالية المؤسسات ومجاميع العمل تعتبر توهيناً للعمل وتلماً لوحده، وتفتح مجالاً واحتمالاً للشذوذ والإغراب، وما زالت سنة التأمير تجلب البركة للدعوة، وترفاً الفتوق، وتستدرك على أنواع الخلل .

(4) واعرف - بوركت - أهمية الاسم الدعوى الذي غدا عريقاً، وصار علماً معروفاً واضحاً، وعنواناً لمناقب شتى وفضائل متنوعة، والتصق به تاريخ من الشرف ناصع البياض، حتى تركزت في هذا الاسم المبارك قيمة معنوية كبيرة تعدل لوحدها قيمة العلوم والآداب والمعارف والفنون التي يستعملها صناعات الحياة مجتمعين، ومن التفريط والتبديد والتبذير أن تزهد بمجموعة بهذا الاسم وتذهل عن هذه الذخيرة فيه وتحاول انتحال عنوان جديد يبقى أشبه بالنكرة إلى عقود من السنين، والحريص يفخر بنسبه، ويلوذ بالشعار، ويستظل بالرماية، ويصدح بالهتاف، وأما المتبرئ المنكشفت فتلفحه الشمس ربما، وتصعقه الصواعق .

(5) وأهمية الانتساب العالمي، فقد ذهب وولى عهد القطريات والجزنيات والإقليميات إلى غير رجعة، فلا جزارة ولا تعريق ولا سودنة ولا تمصير ولا تكويت ولا أمركة، وإنما هي الرحاب العالمية الشاملة فحسب .

وخطبنا متحمس يوم بدء العمل العالمي فقال : كان العالم وما زال يحكمه البيت الأبيض والكرملين، واليوم يطرأ التنظيم العالمي كقسيم ثالث مكافئ .

فقلت له : قد استعجلت وبالغت أخی !

فقال : فالوكالة اليهودية ومجلس الكنائس العالمي يتقاسمان التأثير ونحن القوة الثالثة المقابلة إذن .

قلت : نعم ، الآن ، بل وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل إن لم ننزل أنفسنا هذه المنزلة وإن لم نفهم لحركتنا هذا الدور . وما زالت هذه قناعتى وعقيدتى، وما زال العمل العالمي يؤكد نفسه ويمدد آفاقه ويفتح فتوحه، ولا يضيره أنه لم ينضج بعد، كفان من شأن التوجهات العظيمة أن تحتاج لوقت وصبر وتلك ظاهرة حيوية مطردة وحقيقة كونية متكررة، والمجموعة التي تختص باجتهد غير اجتهد السواد الأعظم وتحاول إنفاذ اجتهادها ومذهبها من خلال التفرد والانخزال إنما تحكم على نفسها بالتضاؤل على المدى البعيد وإن راج أمرها لحين عند العاطفي، وصانع الحياة الذي لا يستند إلى هذه الهيبة العالمية إنما يفقد عاملاً من عوامل قوته وتأثيره .

(6) وأهمية الفكر الإسلامي الملتمزم الذي لا يتتبع الرخص يحرص عليها، ولا يتكون من تليفيق يستعير من كل مذهب أيسر أقواله وإفتاءاته، ليوافق الهمم الواطنة والنيات الباردة، فيكون فكراً ممزجاً ليس بالمحض، ومختلطاً ليس بالذى صفته الصفاء،

بل الواجب أن تسيطر علينا منهجية فى الاجتهاد والاستلهام تحرص على التفسير المتواتر الراجح للآى، وعلى تتبع الحديث الصحيح وقول جمهور الفقهاء.

(7) وأهمية فقه الدعوة التأصيلى، الذى يرجع بأعرافنا الدعوية وأنواع علاقاتنا التنظيمية والتربوية ومواقفنا السياسية إلى أصولها الشرعية وأسايدها الفقهية، ويكشف قول الشافعى فيها، وأحمد، ورواية السرخسى، وسحنون، ومقارنات العز بن عبد السلام وابن القيم، فإن قول السلف وافر فى هذه الأبواب، وفيه استقصاء وغناء، ولم يحوجونا إلى تقليد الديمقراطيات والفلسفات والأساليب الحزبية المحدثة .

(8) وأهمية التربية القيادية التى تأخذ بيد الجديد المجيد فى منهجية متدرجة من متابعة تطوره وتنمى مواهبه وتروى له العلوم والتجارب والتاريخ والأسرار، حتى يستوى من صناع الحياة وتضعه فى طريق الابداع الذاتى والإتيان بالطريف المناسب، والذى يود الاستغناء عن هذه المعونة التربوية ولا يريد الاتكاد عليها – تكبراً وأنفة – قد يطول طريقه حتى لو وصل، وقد ينجح ويعثر العثرات، والمتواضع المستعين فى غنى عن ذلك، وكلما ازداد شكراً وانتساباً للوفاء: زاد خيره وتم له الكيل فى إكمال ووصال. والنبية يميز من جهة أخرى بين اثنين يدعيان تربيته وإنصاحه: بين ثرى يرتاد له العلوم ويستنبط له منها أجود الرأى، ويروى له الأسانيد، ويخرج من جولته معه بحصيلة، وبين آخر يحاكي الجهد القيادى، فيسبح به فى وديان الواظف ويلهيه بصعاب المسائل والاصطلاحات وغريب اللغة وشواذ الافشاء ليفيق من بعد دهر على لا حصيلة ولا شىء ولا فوائد .

(9) وأهمية استحضار معنى الاخلاص وتصحيح النية وتجريد القصد، ووعظ النفس بالتواضع والبساطة، والبراعة من الحسد وسخيمة القلب ومعنى السوء، وتعود شكر المحسن، من قرين مزال وأستاذ معلم وأمير ناصح وممول باذل، واعتقاد أن الفضل كله بيد الله، والفرح بما يضيفه كل مؤمن إلى مسيرة الخير، والدعاء للآخرين، ورجاء الآخرة ومنا عند الله تعالى، وذلك لأن صناعة الحياة توصل إلى وجاهة وسمعة ربما، وصيت حسن واحتفال من الناس، فيكون العجب قريباً من القلب، والغرور ونسيان منة المنان.

(10) ثم أهمية الجيل القديم، وتقديم الرعيل الأول، والتبرك بالسابقين الذين كشفوا درب وارتادوا لنا وبكروا تبكيرا، وكلنا اليوم يرفل بما انتجوه وسطروه، ويستمتع بالأعراف التى أسسوها ورسخوها، وهم القدوات الفاضلة والنماذج النادرة والمعادن البراقة، حتى ألقى منهم ينتصب مدرسة فى تعليم آداب الايمان، وقد امتزجت مشاعر النبيل بقلبه فغدا فى فن الأخوة والأخلاق أستاذاً، ثم ينبغى طارئ يسميهم بالمحاربين القدماء، ويطلب منهم الاعتزال وإفساح الطريق، ليصوب ويجول بحرية. وهذا من الظلم للنفس والافتيات على حقوق الدعوة، فإن هؤلاء القدماء هم الذين يمنحون الحياة الدعوية لطائف معانيها، وبهم تتوطد أركان مبانيها، فاحترامهم واجب، والتبرك بهم فرصة، واستشارتهم غنيمة، والارتباط بهم طمأنينة.

إن هذه العشارية العاصمة تعود بكل واهم إلى أرض الحقيقة إذا فهم أهمية بنودها، وتعداد محاسن الابداع والاجتهاد لا يعفى صانع الحياة من مراعاة هذه الشروط والانسجام معها مهما أتقن عمله وكان ماهراً فصيحاً . فانطلق ثابت الخطو أذى، واصنع الحياة، وارفح بناء الحضارة الإسلامية الجديدة، فإن المجال متاح، والناس تنتظرك، وقد أسرف الطواغيت فى الهدم، ولن تعد أقدارهم ذلك، ليميز ما تصنع أيادى المؤمنين.

ثم انطلق ..... على سنن الوفاء والولاء .....

وبعد

فإنكم تسألون: ما هو الجديد فى هذه النظرية التخطيطية إذن؟  
فأقول: الجديد كثير وافر، يبنى على الأصل القديم، توسعاً واشتقاقاً ومنحاً لبعض الأمور أهمية أكثر من ذى قبل .

**فمن الجديد فيها :** منح العمل العام أهمية أكبر، والنزول إلى ساحة المجتمع وعموم الناس ما أمكن، ومحاولة ترك العزلة والانطواء في المجتمع الخاص، وطلب الولاء من الناس بدل الطاعة .

**ومنه :** منح بعض الدعاة أصحاب القابليات الجيدة والثراء العلمي حرية أكبر في التحرك والاتصال بالآخرين، وتقليل مشاركتهم في تنفيذ الواجبات الدعوية الجماعية اليومية ليتوفر لهم وقت أكثر يتصلون فيه بالناس ويقودونهم من خلال ولاء واع وليس بالتجميع الجماهيري العاطفي.

**ومنه :** الاعتراف بعلوم وفنون كان يظنها بعض الدعاة ترفاً وأنها لا تنفي ولا تنثري المسيرة الدعوية، كالهندسة المعمارية، والخط، وفن القصة، والفلسفة، وعلم الآثار، والتصوير الفوتوغرافي. وكذلك أعطاء أهمية أكبر من ذي قبل للأدب، والتاريخ، والاقتصاد، والاعلام، وعلوم الاجتماع .

**ومنه :** تكثيف الدور القيادي في تربية العناصر الجيدة ليكونوا صناعاً للحياة من خلال منهجية شاملة ومدرسة قيادية، وإدخال العنصر الجمالي كعامل تربوي في هذه المنهجية، وكذا الثقافة العامة .

**ومنه :** جعل المشاركة في البناء الحضاري مهمة دعوية أساسية .

**ومنه :** رعاية وتشجيع كل جهد إسلامي وإن لم يكن صاحبه داعية .

**ومنه :** محاولة حيازة الدعوة لأكثر كمية ممكنة من المال، والنزول إلى ساحة التجارة والصناعة والعقار وعموم أنواع الاستثمار.

**ومنه :** التآصيل التخطيطي، والاقتراب من الفلسفة بالمقدار المسموح به شرعاً عبر رؤية وحدة المحركات الحياتية، ورصد المؤشرات الخلقية والايمانية الدالة على تماثل الموازين الحاكمة والمسيرة للحياة البشرية والمخلوقات والكون، وفهم ضرورة تناسق الخطة والتوجهات الدعوية معها .

**ومنه :** فهم دور الفارس الدعوي في تحريك مجموعة من الدعاة ضمن دائرة حركته، وأثر ذلك في علاج الفتور، وأن تهب الخطة الكثير من العناصر الجيدة لهذا العمل العام كما تهبهم للإدارة التنظيمية .

**ومنه :** محاولة تنمية الابداع والاجتهاد وجعل دورهما أكبر من ذي قبل، وتنمية ثقة الداعية بنفسه .

**ومنه :** قطع تطلع الدعاة لحيازة مراكز المسؤولية في الدعوة، والتوجه لإبداء أثر شخصي في الحياة الإسلامية انطلاقاً من التمكن العلمي أو الفني أو من أي منطلق إبداعي .

**ومنه :** الدعوة إلى التخصيص في الفكر والمناهج والتخطيط والعمل، وإلى العمل المؤسسي .

**ومنه :** قطع التخوف من فشل التجارب السابقة في هذا المجال والجفلة من انحراف بعض من حصل له جاه أو تعاليه على الجماعة وبيان أن ذلك كان لأسباب لا تطرد .

وعدا ذلك فقد حوى الكتاب موازين فرعية كثيرة في فقه الدعوة مبنوثة في كل فصوله، وأخباراً علمية وتاريخية ربما لم يسمع بها بعض الدعاة من قبل، وطرائف وقصص، وحوى أيضاً مقاطع وصفية أدبية، كوصف الاجتهاد، والقائد الفذ، ومهمة الخطاط . ومع ذلك فإن هذه المعاني لا تصل بك إلى خاتمة قصة صناعة الحياة، فإن الأمر يبقى أوسع وأكثر تفصيلاً، ولم نقصد أن يكون هذا الكتاب جامعاً محيطاً، وإنما أردناه كالزناد الذي تنطلق منه شرارة البحث والحوار بين الدعاة في مجالسهم وندواتهم ومؤتمراتهم، لعلهم يضعون النقاط على الحروف ويستقصون خبر هذه الصناعة الايمانية ويترجمونها إلى لمسات إضافية وتعديلية للخطط

والأعراف الجماعية المناهج، بل ولعموم طريقة الفهم والتلقى وتقويم الناس والدعاة وتحليل الحوادث والظواهر واتخاذ القرار وتحديد المواقف والعلاقات.

إن فقه الدعوة يعتبر نقطة مهمة من نقاط انطلاق الحركة الإسلامية إلى التمكين، وينبغي تكثيف دوره المنهجي وإثراء مباحثه وتلقي الدعاة موازينه وقواعده، وأظن أن (نظرية صناعة الحياة) ستؤدى دوراً فى ذلك وتفتح باباً لخير آخر ننتظره من ذى تجربة، وقديم عركته الأيام، ودائب ألهمته المعاناة .

والله ولى المؤمنين، وناصر العاملين، ومعلم الصانعين .

والحمد لله رب العالمين .....

وهذه هى وصيتى الشرعية السنية إلى دعاة الإسلام أجمعين : أوصيهم بتقوى الله تعالى، وبصناعة الحياة .